ثلاث رسائل متبادلة بين الرئيس ونيكيتا خروشوف
أثناء الأزمة بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى

(١) رسالة نيكيتا خروتشوف إلى الرئيس جمال عبد الناصر
فى ١٩ فبراير ١٩٥٩

ترجمة غير رسمية

سيدى الرئيس

أود أن أنقل إليكم فى خطاب سرى بعض الاعتبارات التى ينبغى مراعاتها فيما يخص المسا ئل التى تطرق إليها مؤخرا رجال الدولة فى الجمهورية العربية المتحدة فى حواراتهم مع ممثلى الاتحاد السوفيتى.

لقد تولد لدينا انطباع من حديثكم مع السفير السوفيتى قبل رحيله إلى موسكو، ومن محادثات أخرى، فضلا عن البيانات الصادرة فى صحف الجمهورية العربية المتحدة؛ أن الأحداث الأخيرة المعروفة سببت قلقا لحكومة الجمهورية العربية المتحدة بل ولكم شخصيا إزاء التطورات المرتقبة فى العلاقات بين بلدينا. وثارت شكوك أيضا حيال عدم تغير موقف الاتحاد السوفيتى من حركة التحرر الوطنى العربى. وينبغى من وجهة نظرنا توضيح تلك المسائل الهامة توضيحا تاما فيما بيننا.

كما تعلمون، سيادة الرئيس، فقد لعبت العلاقات الجيدة التى نشأت بين دولتينا دورا كبيرا فى الدفاع عن مصالح السلم والأمن فى بلدان الشرق؛ على سبيل المثال، إبان أزمة السويس أو فى الوقت الذى كان يجرى فيه الإعداد للهجوم ضد سوريا، وعندما عملت بلادنا معا لصد الهجوم المشترك لقوات المستعمرين على حرية الشعوب العربية التى نالتها ببذل النفيس من الجهد والتضحيات. وساعد التعاون الوثيق بيننا أيضا على تقويض احتكار طال أمده لرأس المال الأجنبى الضخم الذى ظل متحكما فى الحياة الاقتصادية لبلدان الشرق الأوسط، وابتهجنا من صميم قلوبنا للصعود الذى بدأ يشهده اقتصادها القومى.

وقد نشأ هذا التعاون المثمر على الرغم من حقيقة مؤداها أننا – كما هو معروف للكافة – نعتنق وجهات نظر أيديولوجية مختلفة ونتمسك بها. وعندما نتحدث عن القواسم المشتركة التى تجمعنا فى النضال من أجل السلام ضد قوى الإمبريالية والاستعمار، كنا نحاول بطبيعة الحال فى الاتحاد السوفيتى ألا نسلط الضوء على الاختلافات الأيديولوجية القائمة. وفى بورسعيد اعتبرتم التعبير عن رأيكم فى تلك المسائل أمرا ضروريا كذلك، واضطررنا فى هذا الصدد إلى التعبير عن رأينا فى مؤتمر حزبنا. ومن الواضح أن كلا منا لايزال على رأيه، وهذا أمر متوقع.

وكانت الاختلافات الأيديولوجية بيننا موجودة أيضا من قبل، ومع ذلك نجح بلدانا فى التعاون بنفس الطريقة التى نتعاون بها مع العديد من البلدان الأخرى التى تختلف نظمها الاجتماعية عن النظام السائد فى الاتحاد السوفيتى. وإذا نظر المرء بشكل واقعى إلى الحالة الراهنة لن يخفى عليه أن الأعداء الذين يتربصون بالعلاقات الودية بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة يحاولون فى الوقت الراهن

استغلال الخلافات الأيديولوجية بيننا. وعدونا المشترك – أى القوى الاستعمارية – يبحث عن أى صدع ويحاول من خلاله شق عصا الخلاف بيننا وإفساد العلاقات الجيدة القائمة بيننا.

لقد ضربنا بعرض الحائط كل ما تقوله القوى الغربية افتراء وبهتانا عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة. وأود أن أقول لكم بصدق، سيدى الرئيس، إن هذه الافتراءات الإمبريالية لا يمكن أن تؤثر علينا ولا أن تغير موقفنا الودى تجاه الجمهورية العربية المتحدة، ولن تفلح القوى الغربية فى زرع هذا الشقاق من جانبنا. وهذا هو السبب الذى تبحث من أجله وسوف تستمر فى البحث عن نقاط ضعف فى الصحافة أولا وقبل كل شئ؛ لأن من وجهة نظرهم أنتم أحرزتم تقدما بالفعل فى مجال مكافحة "الشيوعية العالمية". ولكننا نود أن ننحى هذه المسألة جانبا. ويعرف الجميع جيدا أن حربا ضروسا شُنت ضد الشيوعية لسنوات عديدة، وأنتم على علم بالتأكيد بالنتائج التى أفرزها هذا الصراع حتى الآن. وعلى أى حال ليس هناك ثمة حاجة للخوض هنا فى هذا الموضوع.

وأود أن أعرب عن أملنا، من خلال معرفتنا بكم كزعيم سياسى على مدار سنوات عديدة، فى ألا تنجح القوى الإمبريالية أيضا فى العثور على ثغرة من جانبكم تنفذ من خلالها لإحباط وحدة شعوب بلداننا فى كفاحها ضد الاستعمار. وهل هناك أى أساس يسوغ فى الوقت الحالى عدم وجود تهديد للجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الأخرى من جانب القوى الإمبريالية، التى تشحذ سكاكينها فى الوقت الحاضر كما كانت تفعل فى الماضى، ضد حرية الدول العربية واستقلالها؟! وهل من الممكن اعتبار هذه الدول قد نجحت بالفعل فى إنجاز المهمة الصعبة المتمثلة فى إعلاء شأن نظمها الاقتصادية، والقضاء على الآثار الرهيبة التى خلفها الاستعمار والتى مُنيَت بها تلك البلدان كإرث الماضى؟!

وهل يمكن للمرء القول إنه فى الوقت الحالى لا توجد ضرورة لوحدة القوى المناهضة للإمبريالية من أجل التوصل إلى حل لمعضلات النضال ضد الاستعمار والتى لا تقل تعقيدا اليوم عما كانت عليه بالأمس، وقبل كل شئ ضرورة هذه الوحدة فى العمل بين دول الشرق المستقلة والاتحاد السوفيتى، وكذلك الدول الاشتراكية الأخرى؟!

نحن مقتنعون اقتناعا عميقا بأن الوضع اليوم يتطلب تعزيز هذه الوحدة، وتكثيف هجومنا المشترك ضد الاستعمار والإمبريالية. وأقولها بصراحة لا لبس فيها: إن قوى الإمبريالية فى الوقت الحاضر هى أشد خطورة عليكم مما تشكله من خطورة بالنسبة لنا؛ لأن الاتحاد السوفيتى حقق مستوى من التنمية يُمكنه من وضع خطط للدولة تتضمن مهاما يستعصى تنفيذها، وتتطلب قوة تفوق حتى مستويات الدول الرأسمالية الأكثر نموا على مستوى العالم من الناحية الاقتصادية. ولكننا بأى حال من الأحوال لا نخفى بالا أن مصلحتنا تكمن فى إضعاف القوى الاستعمارية، التى هى عدو ليس فقط لحركة التحرر الوطنى فى بلدان الشرق، بل وللدول الاشتراكية أيضا؛ لسبب واحد هو أن تلك القوى معادية للسلام.

ونحن نعلم جيدا أن الدوائر الحاكمة فى القوى الغربية، لا تتورع عن استخدام أية وسيلة لزرع بذور الخلاف والخصومة بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة. وقد يعرضون عليكم وثائق حول "أنشطة الشيوعية العالمية"، يقومون هم أنفسهم بتلفيقها، ولديهم فى الواقع تجربة ثرية فى هذا المجال. وتُنفق مبالغ طائلة من المال لهذا الغرض، وتحتفظ الولايات المتحدة الأمريكية بجيش جرار من

المتخصصين فى تضليل السياسيين وإيهام الرأى العام فى مختلف البلدان، وإمدادهم بمعلومات خاطئة. وهدفها الرئيسى من وراء ذلك هو إفساد العلاقات بين الدول التى تقف سياستها المحبة للسلام عقبة كؤود فى طريقها، لا سيما فيما يخص العلاقات بين البلدان المستقلة فى الشرق والبلدان الاشتراكية، فإذا أعطاها أحد إصبعه سوف تقطع ذراعه بأكمله.

ونحن على علم بالتقارير التى وردت من مصادر يوغوسلافية وعُممت مؤخرا فى الصحافة البريطانية والفرنسية حول محاولة اغتيالك التى كان يجرى الإعداد لها، وألمحت فى هذا الصدد إلى الاتحاد السوفيتى. وفى حين أنهم لجأوا إلى مثل هذا الكذب، الذى كان يهدف بوضوح إلى صرف اهتمامك بعيدا عن الحقيقة، لم ينبسوا ببنت شفة بالطبع فيما يخص الحقيقة؛ وهى أن محاولة اغتيالك كان يجرى التخطيط لها على يد أجهزة الاستخبارات الفرنسية والإسرائيلية، رغم أنهم كان يعرفون كل شئ عن هذا المخطط.

وقد أمدوكم بمعلومات عن "تغلغل النفوذ الشيوعى" فى اليمن، والذى زُعم أنه نفذ من خلال الخبراء السوفييت، تماما كما حاولوا تخويف القادة اليمنيين عن طريق معلومات عن نوايا الرئيس جمال عبد الناصر "المؤيدة للشيوعية"، وعن مهمة خاصة بزعم أن الخبراء السوفييت الذين دعتهم حكومة الجمهورية العربية المتحدة للتعاون معها من أجل إقامة مشاريع مختلفة، هم بصدد تنفيذها.

وكما ثبت بالتجربة، فإن عملاء الإمبريالية يعملون على الجانبين فى مساع دائمة لتحقيق أهدافهم الأنانية الدنيئة، وحيث أن الجمهورية العربية المتحدة – وأنتم شخصيا بصفتكم زعيما لها – كنتم ومازلتم مصدر كدر كبير للإمبريالية وشوكة فى ظهرها، فإنهم يحاولون بكل ما أوتوا من وسائل عزلكم عن البلدان الأخرى المعادية للإمبريالية؛ كى يفلحوا فى الإجهاز عليكم وأنتم بمفردكم بعد ذلك.

أما بالنسبة للاتحاد السوفيتى وحكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، فقد أيدناكم بإخلاص، ومازلنا ندعمكم فى نضالكم العادل ضد الاستعمار، ولكى تحظى الجمهورية العربية المتحدة باستقلالها وحقوقها المشروعة. إن موقفنا منكم ومن البلد الذى تقودونه ثابت لا تغيره ظروف سياسية مؤقتة، ولا يتأثر بهذه المناورات والأساليب الملتوية.

نحن نعرفكم شخصيا كزعيم بارز لحركة الشعوب العربية من أجل التحرر من نير الاستعمار. وقد لعب النضال من أجل الاستقلال الوطنى وتحرير الشعب المصرى وكذلك الشعوب العربية الأخرى من نير الاستعمار؛ دورا كبيرا فى الصعود العام لحركة التحرر الوطنى لشعوب آسيا وإفريقيا. وقد حظى هذا الكفاح بالاحترام العميق والتعاطف والدعم من الشعب السوفيتى والشعوب الأخرى المحبة للسلام. وقد دعمنا هذا الكفاح بكل إخلاص وسوف نستمر فى دعمه.

وقد تلقينا بارتياح تصريحكم للسفير السوفيتى الذى ذكرتم فيه أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لا تنوى التراجع فى سياسة الصداقة التى تربطها بالاتحاد السوفيتى. ويسرنى أن أشير إلى أن أواصر التعاون الودى والعلاقات الاقتصادية والثقافية بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة قد توطدت وتنمو بنجاح مطرد. أما من جانبنا، فنحن عازمون من الآن فصاعدا على الحفاظ على هذه العلاقات وتوسيع

نطاقها، على الرغم مما هو معروف عموما أن الاتحاد السوفيتى وشعوبه يواجهون فى الوقت الراهن مهام داخلية جليلة؛ تتمثل فى تطوير الاقتصاد الاشتراكى وتوطيد بناء الشيوعية.

عندما كنتم فى موسكو أُتيحت لنا الفرصة لتبادل الآراء حول مسائل مختلفة خاصة بالأوضاع الدولية و الداخلية لبلدينا، من خلال محادثات صريحة وسرية. ولم نخف عليكم أن من مصلحتنا أن تنمو الجمهورية العربية المتحدة وتقوى شوكتها وتتطور؛ حيث أنها مفعمة بالحيوية، وأن تتبوأ مكانة بارزة، وتتزايد أهمية الدور الذى تلعبه بوصفها عاملا مهما للسلام والاستقرار والازدهار فى الشرق الأوسط.

وفى هذا الصدد، وكما تتذكرون ربما، أعربت أيضا عن وجهة نظرى أنكم تسرعتم فى الإقدام على الوحدة بين مصر وسوريا؛ لأنكم لم تأخذوا فى الاعتبار بشكل كاف خصوصيات البلدين المتحدين. وعبرنا عن رأينا فى محاولة مخلصة وبروح ودية أن نمد يد العون فى بناء الدولة الجديدة، والحيلولة دون ظهور صعوبات محتملة. ويبدو لنا أنكم لم تلتفتوا لهذه الحقائق ولم تمنحوها الأهمية الواجبة فى ذلك الحين. ومع ذلك، فإنكم تشهدون بأنفسكم الآن أن العجلة الذى أقدمتم بها على الوحدة أدت إلى عواقب غير محمودة، وكان من الممكن تلافيها. وتشهد الخبرة المتراكمة لعدد من الدول – بما فيها الاتحاد السوفيتى – على إمكانية إيجاد سبل فعالة لتجنب الأسباب التى تفضى إلى ظهور صعوبات مماثلة، أخذا بعين الاعتبار خصوصيات مسار التنمية لإقليمى الجمهورية العربية المتحدة.

أما بالنسبة لمسألة الموقف من الشيوعيين داخل الجمهورية العربية المتحدة، فإن الاتحاد السوفيتى لم ولن يتدخل فى الشئون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة، على الرغم من أنكم سيادة الرئيس، عندما شرعتم فى التقارب بين بلدينا، كنتم تعرفون بالطبع أننا شيوعيون، وأننا لا يمكن أن نتعاطف مع أى سياسة مناهضة للشيوعية، وهذا ما نعتبره خطأ تاريخيا ومسألة مستحيلة وميئوسا منها. وبالتالى، ليس هناك ثمة شئ جديد فى هذا الصدد سواء بالنسبة لكم أو بالنسبة لنا.

وأشاطركم عن طيب خاطر الأمل الذى أعربتم عنه فى تعزيز العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة.

وختاما، أود أن أقول إن هذه الرسالة بما تحمله فى طياتها من تعبير صريح عن رأينا؛ سوف يكون من شأنها الوصول إلى تفاهم أفضل بيننا، وإلى تنمية العلاقات الودية بين بلدينا فى إطار النضال المشترك ضد الاستعمار، ومن أجل تعزيز السلام والأمن فى الشرق الأدنى والأوسط.

مع خالص التقدير والاحترام،

نيكيتا خروشوف

موسكو، ١٩ فبراير ١٩٥٩

(٢) رسالة نيكيتا خروشوف إلى الرئيس جمال عبد الناصر
فى ١٢ أبريل ١٩٥٩

سيدى الرئيس،

أغتنم فرصة مغادرة سفيرنا إلى القاهرة كى أبعث لكم هذه الرسالة معه.

إيماء إلى اجتماعنا الودى والمحادثات التى أجريناها معا خلال زيارتكم لبلدنا، أود وبشكل صريح أن أشاطركم أفكارى، لاسيما فى ما يتعلق بخطاباتكم الأخيرة. ولن أخفيكم بالا أننا هنا فى موسكو نأسف عميق الأسف أن العلاقات بين بلدينا باتت ملبدة بالغيوم، ليس بسبب أى بادرة منا بأى حال من الأحوال.

لقد أعربت فى رسالتى الأخيرة عن بعض الاعتبارات التى يبدو أنها لاقت تفهما من جانبكم. ولكن تفاقم العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية، سرعان ما تمخضت عنه بيانات تضمنت تلميحات عن الاتحاد السوفيتى وجدنا من الصعب تجاهلها؛ نظرا لأهمية العلاقات الودية بين بلدينا فى الحفاظ على السلام ليس فى الشرق الأوسط فحسب. وليس سهلا بطبيعة الحال التوفيق بين هذا الوضع والمصالح الجوهرية لبلدينا، التى تنبع من الحاجة الى خوض نضال تتوحد فيه الصفوف ضد العدو المشترك وهو الإمبريالية؛ تلك القوى التى مازالت قوية بدرجة كافية، ويمكنها أن تستفيد الى حد كبير من أى خلافات قد تنشب بيننا، وعلى حساب بلدينا على حد سواء.

ولم يسبق لنا قط أن أخفينا عنكم الارتياح الذى شعرنا به لفترة طويلة، إزاء العلاقات الوثيقة المبنية على الثقة التى تطورت بيننا وبينكم ومع شخصيات قيادية أخرى فى مصر الجديدة، ثم فى الجمهورية العربية المتحدة فى وقت لاحق. وكان يُنظر بحق الى العلاقات التى توطدت بين دولتينا، ليس فى الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة وحدهما، بل فى العديد من البلدان الأخرى أيضا؛ باعتبارها عاملا محفزا على الاستقرار من أجل إحلال السلام والأمن فى الشرق الأدنى والأوسط. وبدا لنا أن العلاقات الجيدة بيننا سبب كاف للاعتقاد بأنها يمكن أن تستمر ثابتة دون تغيير، على الرغم من الفروق الواضحة فى الرؤى الأيديولوجية والنظم السياسية بيننا، والتى لا يمكن لأى منا إنكارها، بل سيكون من الغريب إنكارها.

وأريد أن أقول لكم صراحة إننا نشعر بحزن شديد للغاية؛ لأن العلاقات التى نشأت بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة لم تنجح فى تعزيز التضامن بين البلدان العربية فى نضالها من أجل توطيد استقلالها الوطنى. ولا يمكن إلا بشق الأنفس إنكار أن الدول العربية لن تجنى من أى انقسام بينها؛ فالمستفيد الوحيد من هذا الانقسام هو القوى الاستعمارية والإمبريالية، التى مازالت غير قادرة على التواؤم مع حقيقة مؤداها؛ أن الوقت الذى كان بإمكانها فيه أن تلعب دور الآمر الناهى فى الشرق العربى قد ولى الى غير رجعة وأصبح ماض سحيق. والعدوان البريطانى – الفرنسى – الاسرائيلى على مصر، والمغامرة العسكرية التى يجرى الإعداد لها ضد سورية، والتدخل العسكرى الأمريكى – البريطانى فى لبنان والأردن؛ كلها أمور غنية عن الشرح.

لقد قلتم مرارا وتكرارا فى تصريحاتكم سيدى الرئيس: إن الاتحاد السوفيتى لم يكن لديه نوايا جادة لمساعدتكم؛ سواء وقت العدوان البريطانى – الفرنسى – الاسرائيلى على مصر، أو فى الوقت الذى وُجه فيه تهديد لسوريا. ولكنكم تعرفون جيدا سيادة الرئيس أن هذا الأمر مناف للحقيقة. فقد كان الغرض من الإجراءات التى اتخذتها بلادنا والخطط التى فكرنا فيها، بالنسبة للهجوم الذى شنه المعتدون على مصر، والتهديد الذى وجهته القوى الإمبريالية الى سوريا؛ هو تقديم مساعدات أكثر فعالية لمصر وسوريا على حد سواء. وكما تتذكرون جيدا، كنا على استعداد لاتخاذ خطوات بعيدة المدى للغاية؛ لكبح جماح المعتدين ووضع حد لأفعالهم التى تستهدف استقلال الدول العربية.

ولعلكم تذكرون سيدى الرئيس، عندما حدثت الثورة فى العراق، وناقشنا معكم فى موسكو بعض المسائل المتعلقة باحتمال ارتكاب المعتدين أفعالا ضد الشعوب العربية، قلت لكم آنذاك: إننا سوف نتخذ جميع التدابير الممكنة إذا شن المعتدون هجوما على الجمهورية العراقية. ولكننى أعربت لكم فى الوقت نفسه عن فكرة؛ أننا يجب أن نبذل كل ما فى وسعنا بالطرق السلمية لتسوية المسائل التى أثيرت، ودون خوض حرب. ولأننى أعرفكم جيدا وأعلم مدى اندفاعكم، خشيت أن يحثكم دعمنا اللامحدود لمشاعركم العدائية؛ على القيام بعمل عسكرى كنا نعتبره دائما أمرا غير مرغوب فيه، وربما كنتم ستفسرون دعمنا لكم على أنه قبول منا للعمل العسكرى.

وربما تتذكرون جيدا أيضا سيدى الرئيس، أنكم تقدمتم باقتراح أن نمدكم بقاذفات للقنابل متوسطة المدى وصواريخ متوسطة المدى، وأننى أشرت الى أن مساحة الأراضى فى بلادكم محدودة للغاية بحيث ستجدون صعوبة فى استخدام هذه الأسلحة.

ثم سألتكم ماذا تقصدون بالصواريخ متوسطة المدى فأجبتم أنكم بحاجة الى صواريخ يتراوح مداها بين ٥٠ و ٧٠ كيلومترا. وقلت لكم: إن الصواريخ متوسطة المدى التى نصنعها صممت لمسافة ٢٠٠٠ – ٤٠٠٠ كيلو متر، وأنها بالتأكيد لا تتناسب مع احتياجاتكم. وأضفت أنه إذا ظهرت حاجة لاستخدام هذه الصواريخ، فسيكون من الأفضل بديهيا أن نطلقها نحن من أراضينا، وأنكم من ثم لا تحتاجون لمثل هذه الصواريخ، ويمكنكم الاعتماد علينا فى تقديم المساعدة لكم عن طريق هذه الصواريخ التى سنطلقها من أراضينا إذا شن المعتدون الحرب ضدكم.

وأنا لا أرغب فى إخفاء الحقيقة عنكم، فعندما لم نوافق على اقتراحكم الخاص بتوريد قاذفات القنابل والصواريخ متوسطة المدى لكم، تبادر الى ذهننا أنكم ربما تحت تأثير حالة الحماس الجياشة التى سببها الوضع السائد؛ قد تتخذون بعض الإجراءات غير المواتية تفضى الى نشوب حرب.

وأنتم على بينة أيضا من استعدادنا لتقديم المساعدة لكم وللجمهورية العراقية على حد سواء، لاسيما بعد الثورة التى حدثت فى هذا البلد فى يوليو ١٩٥٨، عندما فكرت كل من تركيا وإيران وباكستان فى القيام بعمل عسكرى ضد الجمهورية العراقية.

واستنادا الى تقييمنا للوضع الدولى والظروف السائدة فى ذلك الوقت، رأينا من الممكن منع التدخل ضد الجمهورية العراقية بوسائل أخرى دون اللجوء الى الوسائل العسكرية. وأيدت التطورات اللاحقة هذه

التوقعات تماما، وكنا على حق فى قناعتنا بأن اندلاع أجيج الحرب يمكن تداركه من خلال الوسائل السياسية.

وتدركون جيدا – أنتم والجميع على حد سواء – أننا عندما قلنا لكم إننا سنتخذ جميع الخطوات اللازمة لتقديم المساعدة المناسبة لكم، اتخذنا كافة الإجراءات الواجبة على حدودنا مع تركيا وإيران كإشارة على استعدادنا للتدخل فى أى وقت لمساعدة أشقائنا العرب. ولعلكم تذكرون أن بلغاريا اتخذت إجراءات مماثلة أيضا. وبالتالى فإن تأكيدكم على أنكم واجهتم المعتدين بمفردكم مناف للحقيقة.

وأود أن أؤكد مرة أخرى وبكل صراحة أن معرفتنا بمدى اندفاعكم وتهوركم لم تجعلنا نرغب فى أن تفسر مساعدتنا الفورية لكم كنوع من التشجيع على الشروع فى عمل عسكرى. ولأننا مخلصون فى سياستنا المحبة للسلام، ووفاء بوعودنا بتقديم الدعم لكم وللأمم الشقيقة الأخرى، سعينا الى بذل كل جهد ممكن من خلال الوسائل السلمية لحل النزاع الذى نشأ بسبب هجوم القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية المعتدية على مصر، والحيلولة دون اندلاع نزاع عسكرى إبان الأزمة السورية.

لقد كنا على استعداد لاتخاذ خطوات أكثر حزما وإصرارا لتقديم المساعدة الأكثر فعالية لمصر عندما تعرضت للهجوم من قبل المعتدين، والى سوريا وقت الأزمة، ولكنكم تسيئون تفسير كل هذا الآن لسبب أو لآخر.

وأود أيضا أن أتطرق الى المسألة التالية: تذكرون سيادتكم فى إحدى المحادثات التى دارت بيننا أثناء زيارتكم الأخيرة الى موسكو، أنكم أعربتم عن استيائكم من حكومات الدول العربية المجاورة لكم، وسألتمونى عما ينبغى القيام به لتغيير الوضع الداخلى فى البلدان التى تبدى عداء للجمهورية العربية المتحدة، وعن المساعدة التى يمكن أن يسديها الاتحاد السوفيتى لكم فى هذا الصدد. وقد أجبت – كما تتذكرون – أنه ينبغى التحلى بالتسامح وعدم التدخل فى شؤون الدول الأخرى، وأن الجمهورية العربية المتحدة يجب أن تعطى مثالا جيدا لهذه البلدان؛ كى تستطيع التأثير فيها، من خلال النهوض بمستوى الاقتصاد والثقافة ورفاهية الشعوب فى جمهوريتكم، وبناء نظام تتمكن عن طريقه جميع القوى الوطنية داخل الجمهورية من إظهار مبادراتها. وأسديت لكم النصيحة وقتها؛ أن تسعوا الى إنشاء نظام اقتصادى فى الجمهورية العربية المتحدة يجتذب بلدانا عربية أخرى لكسب تأييد الشعوب من خلال المثال الإيجابى، وعندئذ ستمارس الشعوب بدورها ضغوطا على حكوماتها. وينبغى السعى للوصول الى وضع تتحد فيه الدول العربية وتحتشد؛ لمواجهة الخطر الرئيسى الداهم الذى يهددها من جانب القوى الإمبريالية والاستعمارية.

وابتسمتم وقتها وقلتم: إن تقييمى للوضع فى الدول العربية لا يتسم بالواقعية، وأضفتم أن هذا الوضع لن يتغير من دون تدخل عسكرى، وأن هناك حاجة الى تدابير أكثر حزما.

وأجبت أنا بدورى أن التدخل العسكرى أو أى شكل آخر من أشكال التدخل فى الشؤون الداخلية للدول العربية الأخرى أمر خطير للغاية، ولن يؤدى الى الوحدة بل على العكس سوف يفصم العرى التى تربط بين الدول العربية.

ولكن يبدو لى أننى فشلت فى إقناعكم، وأن كلا منا احتفظ برأيه فى ما يخص هذه النقطة.

وأكدت التطورات التى حدثت فى العراق فى وقت لاحق ما قلته لكم حينئذ. فعندما أبديتم تعصبا إزاء الجمهورية العراقية وحكومتها، لم يؤد ذلك الى احتشاد الدول العربية وتضافر جهودها بل على النقيض من ذلك؛ تفرقت الجهود التى تبذلها الدول العربية فى النضال من أجل استقلالها، ولا يستفيد من هذا الموقف سوى القوى الإمبريالية والاستعمارية دون الدول العربية.

ولازلنا نرى أن أى بلد تفرض عليه أية شروط سوف يدافع دائما عن نفسه ولن يسمح بالتدخل الأجنبى.

ما هو السبب الذى دفعنى الى معارضة وجهة نظركم حول تلك المسألة بهذا الشكل القاطع؟ لأننى رأيت أنكم عندما تحدثتم معى عن هذا الأمر حاولتم كسب تأييدنا لتحركاتكم، وأقولها لكم بكل صراحة ووضوح: أود أن تعرفوا أننا لا نشجع إطلاقا مثل هذه الأعمال، ولا يمكننا علاوة على ذلك المشاركة فى أى عمل يشكل تدخلا من بعض الدول فى الشؤون الداخلية لدول أخرى.

وقد سعينا بكل إخلاص فى ما سبق، ونسعى حتى الآن بأفضل ما أوتينا من قدرات؛ لمساعدة الدول العربية على الصمود فى وجه الضغوط الإمبريالية، وعلى توطيد استقلالها الوطنى وتنمية اقتصاداتها المستقلة. وتعتزم بلادنا مواصلة تعزيز علاقاتها مع جميع الدول العربية بقدر ما تبدى هى نفس الرغبة. ونحن لا نفرض صداقتنا على أى بلد؛ لأنه من المستحيل بصفة عامة فرض الصداقة إذا كان المرء يرغب فى بناء علاقات ودية حقيقية، وليس هذا النوع من الصداقة التى ينادى بها الساسة والعسكريون فى حلف الناتو، لاسيما عندما يعدون العدة لشن عمل عدوانى ضد دولة ما.

نحن نبنى علاقاتنا مع الدول على أساس المبادئ اللينينية من التعايش السلمى وعدم التدخل فى شؤون الدول الأخرى. وأريد أن أؤكد مرة أخرى أن مبدأ عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى هو مبدأ دائم وثابت ومصون، ولا يمكننا النكوث فيه فى الاتحاد السوفيتى وجميع البلدان الاشتراكية. ويمكنكم أن تشهدوا بأنفسكم أن العلاقات بين بلادكم والاتحاد السوفيتى مبنية على أساس هذا المبدأ تحديدا. ولا يخفى على أحد أن الاتحاد السوفيتى بنى علاقاته مع الجمهورية العراقية بصفة خاصة ومع دول عربية أخرى؛ على نفس المنوال الذى سارت عليه العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة.

نحن ندرك أنكم تواجهون فى الوقت الحالى صعوبات خطيرة، ونعلم ماهية تلك الصعوبات. ولكن أى خطط للتغلب عليها بشن حملة عنيفة ضد الشيوعيين و"الشيوعية العالمية" هى – حسب قناعتنا العميقة – محاولات تجانب الصواب. فالمسار الذى أنتم مقبلون عليه خدّاع ومضلل، ولن يجلب لكم أى مجد أو رضا. والاستحسان الذى يغدقه الآن أعداء الجمهورية العربية المتحدة الألداء المتأصلين عليها، لا يمكن بطبيعة الحال أن يضلل أى أحد بعيدا عن حقيقة سياستهم، التى تكن عداء مستحكما وعميقا للمصالح الحيوية للشعوب العربية.

أما بالنسبة لطبيعة الصعوبات التى تواجهونها، فأنا مقتنع أن أسبابها الأساسية تنبع من الاستعمار والرأسمالية. فخلال لقائنا العام الماضى سيدى الرئيس، تناولنا معا المسألة المتعلقة بمراحل تطور حركة التحرر الوطنى فى البلدان المستعمَرة وشبه المستعمَرة. وتبرهن التجربة على أن جميع الطبقات الاجتماعية

تقريبا؛ من عمال وفلاحين فقراء وممثلى الطبقة المتوسطة الوطنية وحتى بعض الإقطاعيين، يعملون معا يدا بيد فى المرحلة الأولى من النضال فى سبيل التحرر الوطنى؛ وبالتالى فإن الغلبة وإحراز النصر فى النضال من أجل التحرر الوطنى والاستقلال القومى فى البلاد سيتحققان لا محالة.

ومع ذلك، فإن نيل الاستقلال الوطنى لا يعنى نهاية الصراع. فالمرحلة الأولى يتبعها حتما مرحلة ثانية، تحتل فيها مهمة تصفية العواقب الوخيمة للاستعمار مركز الصدارة؛ وهى مهمة النهوض بمستوى الاقتصاد الوطنى، وتلبية الاحتياجات المادية الأساسية للشعب العامل الذى عانى لقرون عديدة؛ ليس فقط الإذلال السياسى ولكن أيضا الفقر العضال وأقصى أشكال البؤس والشقاء، أى النضال ضد الظلم الاجتماعى.

وأنتم على دراية أكثر منى بطبيعة الحال، أن جماهير الشعب فى غالبية بلدان الشرق العربى حرمت من أبسط الظروف المعيشية والحريات السياسية الأساسية، كما أشرتم بنفسكم مرارا وتكرارا فى تصريحاتكم. وظل تحسين الظروف المعيشية مجرد حلم بالنسبة للشعب خلال سنوات عديدة من القمع الاستعمارى. وبعد الانتصار على الإمبريالية وتصفية الطغيان الاستعمارى، وبعد تحقيق الاستقلال الوطنى، يصبو الشعب بطبيعة الحال الى بلوغ حلمه المنشود بخطى حثيثة.

ولكن ما يحدث فى الحياة العملية هو أن إشباع احتياجات جماهير الشعب العريضة ومنحها حقوقا معينة؛ يثير سخطا ومقاومة من جانب أولئك الذين يرون فى ذلك تعديا على مصالحهم الطبقية الأنانية، والذين عاشوا وقتا طويلا فى ظل النظام الاستعمارى. ولا مفر من الكفاح من أجل تحسين الظروف المعيشية للشعب ومنحه الحريات الديمقراطية، وهو أمر طبيعى ومرهون بطبيعة التنمية الاجتماعية فى حد ذاتها.

وأعتقد أنكم سوف تتفقون معى فى الرأى، أنكم لستم أول من يواجه الحاجة الى حل مشكلات اجتماعية معقدة، والتغلب على صعوبات لم يتسبب فيها الشيوعيون بأى حال من الأحوال.

لقد استمر معارضو الشيوعية لأكثر من مائة عام بالفعل فى تشويه العقيدة الشيوعية، وحاولوا إظهار الشيوعيين فى صورة مضللة، والتشويش على عقول الناس فى ما يخص الشيوعية. ولكن الشيوعيون هم فى واقع الأمر أناس يسعون الى حرية الإنسان، والى تحقيق أعلى مستوى ممكن من النمو فى القوى الإنتاجية والثروة الاجتماعية، وبلوغ أقصى حد فى تنمية القدرات المادية والروحية للشعوب، والتنمية الثقافية الشاملة. باختصار، الشيوعية هى نظام اجتماعى يعيش الجميع فى ظله فى ظروف من المساواة الاجتماعية الحقيقية، والوفرة المادية والإشباع الكامل لاحتياجاتهم الروحية، دون المعاناة من الحرمان من طعام جيد ومسكن مناسب وملبس لائق، مع التمتع بأقصر يوم عمل. ويستطيع الجميع فى المجتمع الشيوعى الاستفادة من قدراتهم فى أى مجال من مجالات العمل الفكرى والجسدى.

وفى ما يتعلق بالسياسة الخارجية، اعتبر الشيوعيون دائما وأبداً الكفاح من أجل السلام مهمتهم الأساسية، فهم يؤيدون بكل عزم وتصميم التعايش السلمى بين البلدان ذات الأنظمة السياسية والاجتماعية المختلفة. وقد عارض الشيوعيون بصفة مستمرة العدوان والتدخل فى الشؤون الداخلية للدول، وكانوا

ينحازون لحق الشعوب الكامل وغير المشروط فى تقرير المصير. وليس من قبيل الصدفة أن الشيوعيين فى جميع البلدان كانوا فى طليعة من أحبطوا العدوان الإمبريالى ضد مصر.

وتستخلص الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الراهن من سجل المحفوظات، ادعاءات أصبحت مبتذلة وبالية من كثرة ما استخدمتها القوى الإمبريالية؛ مفادها أن الشيوعيين فى البلدان العربية على وجه الخصوص يطيعون أوامر صادرة لهم من الخارج.

ولكن يبدو لنا أن جميع من يرون الحقائق كما هى فى الواقع، يعرفون بشكل لا لبس فيه أن فرض الشيوعية من الخارج أمر مستحيل؛ لأن الشيوعية ليست سلعة للتبادل أو التصدير. ولا يمكن لأى نظام اجتماعى فى أى كيان – رأسماليا كان أو شيوعيا – أن يتطور وينتصر إلا نتيجة لعملية تنمية داخلية فى هذا البلد أو ذاك.

هذا المثال ليس مقنعا بدرجة كافية لدحض الادعاءات القائلة بأن الشيوعيين ينفذون أنشطتهم "بناء على أوامر من موسكو"، وأن الشيوعية كعقيدة ظهرت قبل ٧٠ عاما من تأسيس الدولة السوفيتية فى عام ١٩١٧. وها نحن نعيش بالفعل بعد مرور أكثر من ٤٠ عاما على ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى، وأؤكد لكم أنه لا يوجد داخل بلادنا أو خارجها أحد جرؤ أو يجرؤ على المغامرة بالقول: إن السلطة السوفيتية أتت الى بلادنا من الخارج.

ولا يمكن لأى من كان ولا حتى بشق الأنفس أن ينكر حقيقة أن الحزب الشيوعى يحظى باحترام كبير فى الاتحاد السوفيتى، ويتمتع بمكانة كبيرة بين الجماهير العاملة فى جميع البلدان. ولكن هل يعتبر ذلك سندا أو مسوغا يُستنتج من ورائه؛ أن العلاقات بين الأحزاب الشيوعية فى جميع البلدان تقوم على خضوعها لطرف واحد هو الحزب الشيوعى السوفيتى؟ الأحزاب الشيوعية والعمالية تتمتع بالاستقلال الذاتى الكامل، والحرية فى تسوية المسائل السياسية الخاصة بها وغير ذلك من الأمور، ولن يتغير الحال مهما استمر من يبغضون الأيديولوجية الشيوعية فى توجيه نقد فى غير محله ضدها.

هذه هى باختصار تأملاتى عن الشيوعية والشيوعيين التى أردت أن أحيطكم بها علما. وقد أعلنا لكم ونعلن؛ أننا نتمسك بموقف عدم التدخل فى شؤون الدول الأخرى وفى المسائل المتعلقة بالنظام الداخلى للدول، فتلك أمور تخص شعوب البلدان المعنية ونحن لا نقحم أنفسنا فيها. ولكنى أرجو منكم سيدى الرئيس، أن تفهموا أنكم أثرتم مسألة النضال ضد الشيوعية؛ وهى قضية تتخطى حدود دولتكم. لقد أوليتم مسألة النضال ضد الشيوعية العالمية اهتماما أكثر من اللازم، ولديكم الرغبة فى اتهامنا بالتدخل المزعوم فى شؤونكم الداخلية، ولكن عندما تنضوون تحت لواء القوات العدوانية العالمية فى معركتها ضد الشيوعية، فأنتم تتدخلون بذلك فى شؤوننا؛ لأن دولتنا تأسست على مبادئ الماركسية – اللينينية، وهى فى ازدهار دائم، كما أتيحت لكم الفرصة لتشهدوا بأنفسكم عندما نزلتم ضيفا على بلادنا، وتلك حقيقة لا تجادل فيها الدوائر الأكثر رجعية فى بلدان أخرى. ومن الواضح أننا لم نستطع، ولا يمكننا أن نتنحى جانبا أو نتسم بالحياد فى مثل هذه المسائل؛ حيث أن الصراع ضدنا وضد البلدان الاشتراكية الأخرى قد بدأ بالفعل.

ولذلك رأينا من واجبنا أن نثير هذه المسألة التى لا تعد تدخلا فى شؤون دولتكم.

ولا ينكر أحد أن الموقف تجاه الأحزاب القائمة فى كل بلد – بما فى ذلك الأحزاب الشيوعية – مسألة تخص هذه البلدان وحدها دون غيرها، وغنى عن القول أن هذه الأمور لا تخص حكومات البلدان الأخرى. وفى الواقع، عندما أثرتم مسألة التعاون بين بلدينا لم تكونوا من مناصرى الشيوعية ولا المبادئ الشيوعية فى بناء الدولة، بل قمتم بقمع المنظمات التقدمية فى بلادكم، وخاصة المنظمات الشيوعية. ولكننا لم ننقلب ضدكم، ورأينا أن هذا الأمر لا ينبغى أن يمس صداقتنا، ولا ينبغى أن يتداخل مع العلاقات الودية بين بلدينا، ولا أن يشى بالإجراءات المشتركة بين بلدينا فى النضال ضد الإمبريالية.

ونتيجة لذلك وقعتم فريسة للتناقض؛ حيث وجهتم لنا اتهاما بالتدخل فى شؤون بلادكم، بينما شرعتم أنتم فى التدخل فى شؤوننا. وأكدتم فى التصريحات التى أدليتم بها فى الآونة الأخيرة؛ مزاعم أن الشيوعيين فى الجمهورية العربية المتحدة يتلقون تعليماتهم من موسكو، وأن الشيوعيين فى البلدان العربية عملاء لموسكو. وانبريتم من ثم فى هجوم مباشر وغير مباشر ضد الاتحاد السوفيتى، وبدأنا فى الدفاع عن أنفسنا ولجأنا بطبيعة الحال للهجوم، وهذا ما سيكون عليه مآل الأمور. ويترتب على ذلك أنكم إذا امتنعتم عن التدخل فى شؤون الدول الشيوعية – بما فيها شؤون دولتنا – وإذا كففتم عن مهاجمتنا، لن نسبب لكم أى متاعب نحن أيضا. ولكن إذا استمريتم على هذا الدرب، فلن نحجم عن الرد. لكنكم تعلمون حق العلم من خلال تجربة العديد من البلدان؛ أن العلاقات بينها وبين الاتحاد السوفياتى تتطور بصرف النظر عن موقف تلك البلدان من الشيوعيين على الصعيد المحلى.

لقد أكدتم فى التصريحات العامة التى أدليتم بها مؤخرا؛ أنكم واجهتم تدخلا من الاتحاد السوفيتى فى الشؤون الداخلية لبلادكم، وأشرتم الى المحادثات التى جرت بيننا خلال زيارتكم الرسمية الى الاتحاد السوفيتى فى أبريل – مايو ١٩٥٨، وأثناء الزيارة التى قمتم بها الى يوغوسلافيا بعد اندلاع الثورة فى العراق مباشرة. وزعمتم من بين أمور أخرى أننى قلت فى واحدة من هذه المحادثات: إنه قد يكون من الأفضل لو أتيحت الفرصة للحزب الشيوعى السورى أن يستمر فى عمله.

لقد كرسنا نحن وأنتم الكثير من الوقت لإجراء محادثات مفتوحة وودية، لا سيما خلال زيارتكم الأخيرة. وأتذكر هذه المحادثات نعم التذكر، ويجب أن أقول: إنكم لا تتحلون بالدقة دائما فى نسخها. ويمكن بديهيا تفسير هذا الأمر؛ بأنكم لم تدونوا أى ملاحظات أثناء المحادثات واعتمدتم فقط على الذاكرة. أنا أيضا اعتمد على ذاكرتى، ولكننى أعتمد الى جانب ذلك وللدقة على سجلات المحادثات التى يدونها المترجمون الفوريون، وبالتالى، فإن نسختى من المحادثات أكثر دقة.

وأنتقل الآن للحديث عن ملاحظاتكم بشأن الشيوعيين السوريين. إدراكا منا لوجهات نظركم المناهضة للشيوعية، ونظرا لسياسة اضطهاد الشيوعيين المتبعة فى بلادكم، لم يكن من الممكن بالتأكيد أن أوجه إليكم مثل هذه الملاحظة بشأن أنشطة الحزب الشيوعى فى سوريا. والى جانب ذلك، اعتبرت من عدم اللياقة أو اللباقة أن أدلى بملاحظات كتلك أثناء وجودكم؛ لأنكم كنتم ضيفى.

وعندما كنا نتحدث عن الوضع فى الجمهورية العربية المتحدة، تطرقتم أنتم لمسألة الوحدة بين مصر وسوريا، وقلت لكم: إنها شأن داخلى يخص شعوب البلدين، وأن الاتحاد السوفيتى اعترف بالوحدة ورحب بالجمهورية العربية المتحدة، وهذه الوحدة لم تفرز ولن تفرز أى نوع من أنواع عدم الثقة من جانبنا.

وقلت: إننا لا ننوى التدخل بأى شكل من الأشكال فى هذا الشأن، على الرغم من أن بعض الخطوات فى توحيد مصر وسوريا بدا لى أنها لم تتخذ بشكل متعقل، وكانت تشوبها درجة معينة من التسرع. وكانت الحريات الديمقراطية موجودة بشكل أكبر فى سوريا قبل الوحدة عما كانت عليه فى مصر، وكانت هناك أحزاب سياسية مختلفة، وبالتالى كان السكان يتمتعون ببعض الحريات الديمقراطية البرجوازية.

وكان لسوريا الى جانب ذلك حكومة خاصة بها وجيش قائم بذاته وقيادات سياسية مستقلة، ولعبت دورا واضح المعالم فى السياسة العالمية. والآن حُرم السوريون من الحريات الديمقراطية، وحلت الأحزاب، وتحولت سوريا الى محافظة فى الجمهورية العربية المتحدة.

وأثناء حقبة الوحدة تم تجاهل كل ذلك بشكل واضح، وطبقت معايير واحدة ووحيدة على إقليمى الجمهورية العربية المتحدة، وفُرضت على المؤسسات الديمقراطية السورية ظروف وشروط مماثلة لتلك السائدة فى مصر، وأفضى هذا الوضع بطبيعة الحال الى نفور القوى الديمقراطية.

ونتيجة لذلك استُبعد معظم القادة السياسيين السوريين واحتلوا المقاعد الخلفية فى الحياة السياسية، واختفى بعضهم تماما من معترك السياسة أو آثروا الهجرة. وأشرت آنذاك أننى لم أكن أتكلم عن الشيوعيين، ولكن عن ممثلى الأحزاب الأخرى الذين شجعوا الوحدة مع مصر وانطفأت حماستهم للفكرة الآن.

وكان ردكم أن السوريين هم الذين ضغطوا من أجل الإسراع بوتيرة الوحدة، وأن الأحزاب السياسية السورية لم تكن تمثل الشعب، وأن التعاون معها كان من شأنه بالتالى أن يثير شكوك الشعب السورى تجاهكم. وذكرتم على سبيل المثال نائب الرئيس السيد حورانى، وأعربتم عن استيائكم الشديد من أنشطته وسلوكه، وأضفتم أنكم لن تستطيعوا العمل معه، وأنه بات من الواضح ضرورة إقالته وعزله.

ونصحتكم بالإحجام عن ذلك، وقلت لكم كما تتذكرون: لماذا ينبغى لكم القيام بذلك وهو نائبكم وزعيم أحد الأحزاب السورية؟ والشعب السورى على علم أنه نائبكم، ويقدرون أن زعيمهم يتبوأ منصبا حكوميا ولديه مكانة سياسية معينة، فإذا قمتم بعزله سوف تؤلبون ضدكم بالتأكيد أناس يعتبرون السيد حورانى زعيما لهم.

وقلتم لى حينها: نصيحتكم فى محلها، وأنا أتفق معكم أننى لا يجب أن أعزله.

هل كان ذلك فى صالح الحزب الشيوعى؟ لم أذكر لكم فى ذلك الحين أى شى يخص خالد بكداش أو الشيوعيين السوريين الآخرين.

وأثيرت مسألة الشيوعيين المصريين أثناء المحادثات بناء على مبادرة منكم. وقلت لكم إن هذا شأن خاص بكم، على الرغم من أننى لم أخفكم سرا أننى أتعاطف مع الحركة الشيوعية والشيوعيين. وأجبتم أن الشيوعيين فى بلادكم يختلفون عن نظرائهم فى بلادنا، وأن الشيوعيين فى بلادكم يشكلون حزبا صغيرا قوامه أناس غير بارزين، مواطنين من الدرجة الثانية كما أطلقتم عليهم بازدراء.

وحيث أنكم سيادة الرئيس أثرتم هذه المسألة فقد أجبت أن الشيوعيين – لو كانوا شيوعيين حقا – هم جميعا على شاكلة واحدة؛ لأنهم يسترشدون بتعاليم ماركس ولينين، وإذا كنتم تعتبرون أننا شيوعيين جيدين

والشيوعيين فى بلادكم سيئين، فأنتم مخطئون. وسقت لكم مثالا ربما مازلتم تذكرونه، قبل الثورة زج قيصر روسيا بالشيوعيين فى السجن – ولم يكن عددهم كبيرا آنذاك – ولجأ البعض منهم الى الهجرة. وبعد سقوط حكم القيصر، تولى لينين قيادة ثورة الشعب العظيمة هو ومجموعة صغيرة من الرجال الشجعان، كانوا يعبرون عن تطلعات الشعب العامل. وتم قمع الثورة المضادة تحت قيادة الحزب الشيوعى، ودُحر الغزاة وتأسست أعظم دولة اشتراكية فى العالم.

قلتم لى خلال حديثنا: إنكم لم ترغبوا فى وجود أى أحزاب على الإطلاق، وإنكم – تشبها بالاتحاد السوفيتى – سيكون لديكم حزب واحد هو الاتحاد القومى. ولاحظت أن إشارتكم الى الاتحاد السوفيتى جاءت بفتور؛ الاتحاد السوفيتى لديه حزب واحد لأن لدينا مجتمع اشتراكى لا يوجد فيه رأسماليون أو ملاك، ولا يوجد أشخاص يعيشون عن طريق استغلال عمل الآخرين. والحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى يعبر عن مصالح جميع العمال والعاملات، عن كل الشعب؛ عمال وفلاحون ومثقفون. وهذا هو السبب فى أن الحزب الشيوعى هو الحزب الوحيد والأوحد فى بلادنا.

وربما تتذكرون سيدى الرئيس أننى سقت آنذاك المثال التالى: يوجد فى بلادكم عرب ومسلمون مؤمنون وعمال ورأسماليون. الرأسمالى يريد من العامل أن يعمل لمدة أطول ويحصل على أقل مقابل، والعمال – وهم أيضا عرب ومسلمون مؤمنون – يريدون أن يعملوا أقل وقت ممكن ويحصلون على المزيد. وسألتكم فى ذلك الحين سيدى الرئيس.. أى العرب ستنحازون لهم؟

ولم تقدموا لى أى رد على السؤال.

وذكرت لكم مثالا آخر؛ هناك فلاحون فى بلادكم لا يملكون أرضا، ويعيشون على حد الكفاف، ويستأجرون الأراضى بسعر مرتفع، ولا يمكنهم إعالة أنفسهم وأسرهم، هم عرب ومسلمون مؤمنون. وهناك أمراء الإقطاع، ملاك الأراضى الذين يمتلكون أراض شاسعة، والفقراء الذين يزرعون هذه الأرض هم العمال المستأجرون. والملاك يستغلونهم بلا رحمة، على الرغم من أن ملاك الأراضى ليسوا هم الذين أبدعوا الأرض، الطبيعة هى التى خلقت الأرض أو كما يقول الناس: الأرض من صنع الله. لماذا إذاً يستولى بعض الأفراد على الأرض ويستغلون حقهم فى اقتطاعها وحيازتها، ويجبرون الآخرين – أولئك الذين لا يملكون أراض خاصة بهم ويتقاضون أجرا ضئيلا على عملهم لا يكفى لإعالة أنفسهم وأسرهم – على العمل فيها؟

وهناك صراع دائر بين هؤلاء الناس؛ بين العرب المسلمين المؤمنين، وكلا الجانبين يتضرع الى الله.

لقد سألتكم سيادة الرئيس أى العرب ستقفون الى جانبهم: العمال والفلاحون أم الرأسماليون وملاك الأراضى؟ كيف يمكنكم أن تجمعوا فى حزب واحد بين العمال والبرجوازية والفلاحين وملاك الأراضى؟ ولم تعطنى إجابة فى ذلك الوقت، ولا أعتقد أن بإمكانكم الإجابة على هذه الأسئلة فى الوقت الراهن أيضا.

صحيح أنكم قلتم: إنكم تقفون مع كل العرب بصفة عامة، ولكن هذا الجواب يمكن أن يكون مفهوما، إذا كان السؤال متعلقا بالوقت الذى تناضل فيه الشعوب ضد الغزاة أو المحتلين الأجانب أو المستعمرين الإمبرياليين على مستوى الأمة بأكملها. ففى مثل هذا الوقت تتحد بالفعل جميع طبقات الشعب تقريبا

للدفاع عن مصالحها الوطنية. ولكن بمجرد طرد الغزاة خارج البلاد وتأسيس دولة وطنية مستقلة، وما أن يواجه الشعب مهاما جديدة؛ تنشأ صراعات داخل الأمة من أجل نيل الحقوق الاجتماعية للشعب العامل. والصراع الطبقى له تأثير ملحوظ وحقيقى على الحياة الاجتماعية للبلاد، وهذا تطور طبيعى وهادف لا يمكن تجاهله.

وقلت أيضا: إن الأمر متروك لكم فى تقرير أى الأحزاب سيسمح لها بممارسة أنشطتها فى بلادكم. ولكن أقول مرة أخرى: سواء سمحتم بوجود تلك الأحزاب بشكل قانونى أو لم تسمحوا؛ فإنها موجودة بالفعل وستستمر فى الوجود. ولا يمكن القضاء على الصراع بين الطبقات عن طريق المراسيم والقوانين، وسوف يستمر هذا الصراع طالما أن الطبقات المتعارضة موجودة. وكل هذا بالطبع ينطبق ليس على الجمهورية العربية المتحدة فحسب، ولكن على جميع البلدان الأخرى التى توجد فيها هذه الطبقات.

وإن كنت قد اضطررت أن أذكر لكم فى هذه الرسالة الشخصية فحوى ما دار فى محادثاتنا، فقد فعلت ذلك لهدف وحيد هو تصحيح بعض الأفكار غير الدقيقة لديكم.

والى جانب ذلك، تطرقت فى واقع الأمر الى مسألة الخلافات الأيديولوجية بيننا فى هذه الرسالة؛ لأنكم فى تصريحاتكم الأخيرة سلطتم الضوء على هذه المسألة بشكل رئيسى. وأجبرتنى الظروف فى هذه الحالة على الرد على تصريحاتكم، من باب أولى لأنكم لم تفرقوا بين المسائل المتصلة بالعقيدة والأيديولوجية من ناحية، والعلاقات بين الدول من ناحية أخرى. فنقطة الانطلاق بالنسبة لنا كانت وماتزال؛ أنه على الرغم من اختلاف وجهات نظرنا الأيديولوجية وتبايُن النظم الاجتماعية فى دولنا، هناك مجال كبير للتعاون المثمر والودى بيننا لصالح أمن وسلام الشعوب.

لقد فوجئت حقيقة من تصريحاتكم العلنية؛ التى زعمتم فيها أننا قمنا بمحاولات للتدخل فى الشؤون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة. وكما ستتذكرون بسهولة سيدى الرئيس، أنتم ذكرتم فى أكثر من مناسبة أثناء محادثاتنا فى موسكو، أنكم مقتنعون تمام الاقتناع من خلال تجربتكم؛ أن الاتحاد السوفيتى لم يتدخل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى. وكدليل على ذلك أثنيتم على سلوك وعمل الخبراء السوفييت فى الجمهورية العربية المتحدة، وأكدتم أنهم حصروا أنشطتهم بدقة وبضمير حى فى تقديم المساعدة التقنية. وذكرتم لى أيضا فى ذلك الوقت، أنكم فطنتم بالخبرة بطلان الادعاءات القائلة أن الأحزاب الشيوعية تتلقى توجيهات من موسكو. وقلتم: إنه حسب علمكم لا يوجد على سبيل المثال حزب شيوعى موحد فى مصر، وإن هناك فقط مجموعات مقسمة ومنفصلة. فإذا قلتم: إن الأنشطة الشيوعية فى مصر موجهة من الخارج، فهذا يعنى بالتأكيد أن حزبا شيوعيا واحدا قد تأسس بالفعل، وهذا أمر مناف لواقع الحال. ويبدو أنكم سيادة الرئيس كنتم تحملون فى ذلك الوقت أفكارا أكثر موضوعية، ووجهات نظر أكثر هدوء عن حقيقة الوضع عما تحملونه فى الوقت الراهن؛ لأنكم جئتم بأفكار مناقضة لذلك تماما.

ونحن ملتزمون تماما – كما سبق أن ذكرت – بمبدأ عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول، ونعتقد أن الاختلافات فى العقيدة لا ينبغى أن تشكل عائقا أمام التعاون بين الدول. وإذا كنتم تتفقون مع هذا الرأى، فلا يسعنا سوى أن نعرب عن ارتياحنا فى هذا الصدد.

لقد حاولتم فى خطاب من خطاباتكم أن تعرضوا سردا تاريخيا للأشهر الأولى التى تلت تأسيس الدولة السوفيتية، وزعمتم أن البرلمان الذى كان يتألف من ممثلين عن مختلف الأحزاب السياسية قد تم حله بعد ثورة أكتوبر مباشرة، وأن الحزب الشيوعى أصبح الحزب الوحيد فى بلادنا، ولكن هذا بالتأكيد يتعارض مع الحقائق التاريخية.

أولا، خلال الفترة الأولى لم توجد فى الجمهورية السوفيتية حكومة الحزب الواحد، ولكن شُكلت حكومة ائتلافية، وكان حزب الاشتراكيين الثوريين ممثلا أيضا فى هذه الحكومة، وكان كوليجايف – وهو عضو بارز فى هذا الحزب – مفوض الشعب للزراعة. وشارك ممثلو الحزب فى أنشطة السوفييت الى أن ترك الاشتراكيون الثوريون أنفسهم الحكومة، وحاولوا فى وقت لاحق إثارة تمرد ضد سلطة الشعب من العمال والفلاحين، وأقدموا على محاولة بشعة لاغتيال الزعيم العظيم فلاديمير إيليتش لينين. وبطبيعة الحال انكسرت شوكة المحرضين على التمرد المعادين للثورة، ولم يعد فى الحكومة والأجهزة المحلية للسلطة السوفييتية أى ممثلين عن الأحزاب البرجوازية، التى اندثرت ولم يعد لها وجود فى البلاد إلا على الأراضى التى كان يسيطر عليها مؤقتا الحرس الأبيض وأنصار سياسة التدخل.

ثانيا، كانت طبيعة التغيرات ذاتها التى أحدثتها ثورة أكتوبر العظيمة تصب فى صالح الجماهير الشعبية العريضة. وتشهد الأعمال التاريخية التى قامت بها السلطة السوفييتية على هذه الحقيقة؛ مثل المرسوم الخاص بالسلام، والمرسوم الخاص بالأرض ونقل الثروات الرئيسية للبلاد الى أيدى الشعب. واتخذت الجمعية التأسيسية – أى البرلمان المنتخب قبل الثورة – قرارات فى أول اجتماع لها فى يناير ١٩١٨ كانت مناوئة لهذه التغييرات العظيمة، ومن ثم تم حلها وفقا لإرادة الشعب.

ويشير كل هذا الى أن خطابكم – سيادة الرئيس – لا يتوافق مع الحقائق التاريخية، ويستند الى معلومات من الواضح أنها غير صحيحة.

وأود الآن أن أركز تحديدا على المساعدات التى يقدمها الاتحاد السوفيتى.

لقد كنا ولا زلنا معارضين ثابتين للاستعمار؛ تلك الظاهرة التى يندى لها جبين المجتمع البشرى الحديث. وتنبع مساعداتنا الى البلدان التى تحررت من التبعية الاستعمارية من جوهر وطبيعة الدولة السوفيتية. وأنتم تعلمون كما أعلم أننا نقدم المساعدات دون أى قيود أو شروط سياسية أو عسكرية. ولهذا السبب تحديدا حظيت مساعداتنا بتقدير واسع النطاق من العرب والشعوب الإفريقية والآسيوية الأخرى. وهناك رغبة واحدة تدفعنا الى تقديم الدعم الى البلدان الآسيوية والإفريقية؛ وهى أن نساعدها على الوقوف على أقدامها وتوطيد استقلالها السياسى والاقتصادى أيضا، وأن نشجعها على رفع مستويات المعيشة لشعوبها، وليس للاتحاد السوفييتى ولا يمكن أن يكون له أى مآرب أخرى.

وبلغنا سيدى الرئيس أن الاجتماعات التى تعقد الآن فى الجمهورية العربية المتحدة تدوى فيها هتافات: "لا للروبل ولا للدولار"، وهى شعارات لا تخلو من تشجيع من جانب السلطات. ويعرب بعض السياسيين فى العلن عن شكوكهم إزاء الإيثار الذى يبديه السوفييت فى مساعداتهم. ولن أخوض فى التفاصيل

الخاصة بأوجه الفرق الأساسية بين المساعدات التى يقدمها الاتحاد السوفيتى والمساعدات الأمريكية. أود فقط أن أطرح السؤال التالى: ربما الروبلات السوفيتية تشكل تهديدا لأحد فى الجمهورية العربية المتحدة؟

ومن المعلوم أن الاتحاد السوفيتى لم يفرض أبدا ولا يفرض مساعداته على أى دولة، ولكنه يقدمها فقط إذا طُلب منه ذلك. أنتم تعرفون حق المعرفة سيدى الرئيس أن تلقى مساعدات من الاتحاد السوفيتى مسألة طوعية تماما، والأمر يرجع إليكم بالطبع فى قبولها أو رفضها. فإذا كانت وجهة نظركم أن المساعدات التى اتفقنا على منحها للجمهورية العربية المتحدة بناء على طلبكم تشكل عبئا عليكم، وإذا كنتم تريدون التخلص من الروبلات التى قدمناها لكم فى إطار الاتفاقات القائمة، فلكم مطلق الحرية فى رفضها. ويمكنكم أن تطمئنوا تمام الاطمئنان أن هذه الخطوة لن تشكل إساءة لنا بأى حال من الأحوال، فنحن نريد أن نحقق رغبتكم عن طيب خاطر. ولدينا فى الواقع مجال كبير يمكننا الاستثمار فيه، ويحضرنى هنا برنامج البناء الاقتصادى الضخم فى الاتحاد السوفيتى. ونحن لا نرغب فى أن نتطفل على الدول ونفرض عليها مساعدات هى ليست فى حاجة إليها، ثم تحط تلك الدول من قدرنا بدلا من أن تبدى امتنانها لنا، بل وتؤلب الشعوب ضد الدولة السوفيتية التى تمنح المساعدات بتجرد ودون السعى لتحقيق مصالح شخصية.

وهل الوضع الحالى فى الجمهورية العربية المتحدة الذى تُشن فيه حملة ضد الاتحاد السوفيتى، وبالتالى ضد الشعب السوفيتى، لا يؤدى الى إشكاليات أكثر تعقيدا فى الوفاء بالتزاماتنا بموجب الاتفاق الخاص ببناء سد أسوان؟ أرجو ألا تفهموا كلامى على أنه تهديد من جانبنا، ولكنه قلق بسبب الحملة الموجهة ضد الاتحاد السوفيتى الآن فى الجمهورية العربية المتحدة. وسيكون من الصعوبة بمكان بالنسبة لنا وفى ظل هذه الظروف؛ أن نفى بالتزاماتنا بموجب الاتفاق الذى وقعناه معكم. وفى الواقع سيتوجب على المواطنين السوفييت الإقامة فى بلدكم والعمل فيه، وعرض مبادراتهم الخلاقة لضمان بناء السد باستخدام أفضل الحلول التقنية الصحيحة، كل هذا فى ظل ظروف يؤلب فيها السكان المحليين ضدهم.

ونحن نتلقى حتى الآن العديد من الرسائل من مواطنين سوفييت، يعبرون فيها عن قلقهم بشأن مصير من سيذهبون الى بلادكم. شعبنا يتساءل.. كيف يمكن إرسال مواطنين سوفييت الى الجمهورية العربية المتحدة لتنفيذ الاتفاقات القائمة فى إطار المساعدات الاقتصادية، إذا كان من الممكن أن يتعرضوا لمخاطر الضرر المعنوى وربما المادى، وقد تحدث أيضا فى ظل الظروف الراهنة تجاوزات غير مقبولة يقوم بها بعض المتعصبين؟!

ونحن نطلب منكم أن تتفهموا بشكل صحيح الأسباب الكامنة وراء قلقنا. وإذا كنتم لا تحتاجون الآن لمساعدتنا، ارفضوها ولا تخشوا أى استياء أو غضب من جانب شعبنا. وينبغى أن نحتفظ بعلاقات طبيعية معكم كما نفعل مع جميع البلدان. وحينئذ لن تكون بيننا ما يمكن أن تسمى "بعلاقات الروبل"، كما يُنظر الآن فى بلادكم الى مساعداتنا المجردة من أى غاية، والتى تعتبر الآن إحدى المخططات أو المقاصد الإمبريالية.

ولا أخفيكم سرا أننا فوجئنا بصفة خاصة بذلك التصريح الذى أدليتم به فى خطابكم يوم ٢٢ مارس. فقد قلتم: إنكم اعتمدتم فى العدوان الثلاثى البريطانى – الفرنسى – الإسرائيلى على مصر عام ١٩٥٦

على الله وعلى أنفسكم فقط، وإنكم حتى يوم ٦ نوفمبر ١٩٥٦ وحتى نهاية القتال واجهتم العدوان بمفردكم، ولكنكم لم تلمحوا حتى الى أدنى قدر من المساعدة من جانب الاتحاد السوفيتى.

هنا سيدى الرئيس اتخذتم مسارا أنكرتم فيه تماما الحقائق الماثلة للعيان.

من المعروف أن الاتحاد السوفيتى انبرى بعزم وثبات منذ اليوم الأول الذى نشبت فيه أزمة السويس للدفاع عن حقوق مصر المشروعة، من خلال منحها دعما معنويا وسياسيا وماديا واسع النطاق. وبعد الهجوم المسلح الذى شنته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر، اتخذت الحكومة السوفيتية خطوات لعبت دورا آخر فى إجبار المعتدين على التراجع والخروج من الأراضى المصرية.

هل ساور أى طرف شكا فى أن الاتحاد السوفيتى كان سيستخدم وسائل أكثر فعالية لكبح القوات المعادية التى أطلقت العنان لعدوان مسلح ضد مصر، إذا تجاهلت تلك القوات التحذير القاطع الذى أطلقه الاتحاد السوفيتى ولم توقِف الأعمال العدائية؟!

ولا يعتبر خروجا عن السياق أن نذكر هنا أن حكومات الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا لبت رغبة الحكومة المصرية قبل فترة طويلة من أزمة السويس، فى تسلم أسلحة حديثة على وجه السرعة لتلبية الاحتياجات الدفاعية للبلاد. وكما هو معروف، منذ أواخر عام ١٩٥٥ تم توريد كميات كبيرة من الأسلحة السوفيتية والتشيكية الى مصر وسوريا بشروط مواتية للغاية. ونحن نشعر برضا كبير لأنها كانت ذات فائدة جمة لكم. وقد ابتهجنا من صميم قلوبنا أن هذه الأسلحة التى حملها أبناء بلادكم الجسورين كانت نعم العون لهم فى الدفاع عن وطنهم وديارهم، فى ظل قيادتكم، أثناء الهجوم المسلح على مصر.

احكموا بنفسكم سيدى الرئيس، هل من الممكن الزعم بأن الدعم السوفيتى لمصر اقتصر على الجوانب المعنوية أو الروحية فقط؟

لقد قدر الشعب السوفييتى كفاح الشعب المصرى الباسل ضد المعتدين من أجل حريته واستقلاله. وحقيقة الأمر أن خبر الهجوم ضد مصر سبب استياء شديدا بين صفوف الشعب السوفييتى، وأثار حماسته لتقديم العون الفورى للمصريين فى نضالهم العادل. ولاحظتم فى الاجتماع الذى عقد فى الكرملين فى مايو ١٩٥٨ أن قوة الشعب المصرى وعزيمته، بدعم من الاتحاد السوفيتى وغيره من البلدان المحبة للسلام، وقوى باندونج، وقوى السلام أسفرت عن هزيمة المعتدين وأجبرتهم على الانسحاب.

تلك هى الحقائق التى أصبحت جزءا من التاريخ. ولا أود أن أتطرق الى المشاعر الدينية، ولكن المحاولات الحالية لاستخدام الدين لتبرير سياسة الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الراهن، واستغلاله فى الحجج التى تساق ضد الاتحاد السوفيتى والثورة التى قامت فى بلادنا عام ١٩١٧، يبدو لى أنها حادت عن الصواب.

الحكومة السوفيتية والشعب السوفيتى – كما رأيتم بنفسكم عندما تجولتم فى بلادنا – يكنان احتراما عميقا للمشاعر الدينية لدى الشعوب، بما فى ذلك بالطبع الشعوب المسلمة. وقد أتيحت لكم الفرصة أثناء إقامتكم فى بلادنا لممارسة الشعائر الدينية فى المساجد، جنبا الى جنب مع مسلمين آخرين سواء فى موسكو أو فى لينينجراد. وأعتقد أنه لم يكن من الصعب التأكد من أن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى

يتمتعون بنفس الحرية فى ممارسة شعائرهم الدينية وإقامة احتفالاتهم الدينية، على قدم المساوة مع من يعتنقون ديانات أخرى. ويكفل القانون فى بلادنا حرية الضمير وحرية العقيدة، وتوجد لدينا كنائس ومساجد، والمؤمنون من جميع المذاهب يتمتعون بالحرية فى ممارسة شعائرهم.

وأنتم أيضا على بينة – سيدى الرئيس – من حقيقة لا تقر بها الشعوب التقدمية وحدها، وهى أن ثورة أكتوبر والبناء الناجح لحياة جديدة، والصعود الاقتصادى والثقافى وارتفاع مستوى الرفاه بين سكان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية؛ خلق ابتهاجا لشعوب العالم أجمع وسبب قلقا كبيرا فى الأوساط الإمبريالية حول مستقبلها. أليست ثورة أكتوبر ملهمة لجميع الشعوب المستعمرة والمقهورة؟ أليست شعارا للجميع – بغض النظر عن معتقداتهم الدينية – فى نضالهم من أجل الاستقلال والتحرر الوطنى والاجتماعى؟

ولا يسعنا من أجل العدالة إلا أن نقول إن شعوب الشرق، بما فيها المسلمون والبوذيون والمسيحيون وأتباع الديانات الأخرى، ظلوا يعانون لقرون عديدة تحت نير الغزاة الأجانب والطغاة. وأصبح من الممكن تحريرهم فى المقام الأول؛ بسبب كفاح وعزم الجماهير نفسها وتصديها للمستعمرين. وعلاوة على ذلك، وكما أثبتت التجربة فى السنوات الأخيرة، تطلب تحقيق الاستقلال الوطنى والحفاظ عليه فى العديد من الدول العربية؛ تأييدا واسع النطاق من جانب جميع الشعوب المحبة للسلام، بغض النظر عن معتقداتها الدينية وتطلعاتها العالمية.

وبالتالى فإن الخلط بين مشاكل السياسة والدين لا مبرر له.

وإذا أردنا أن نلقى نظرة موضوعية على التطورات الأخيرة فى الشرق الأوسط، وعلى مؤامرات المستعمرين، الذين يصب تفاقم العلاقات بين الدول فى مصلحتهم، يصبح من الواضح أنه من أجل تحقيق الهدف الرئيسى وهو الحفاظ على السلام، ينبغى أن لا ننسى نحن ولا أنتم فى خضم الجدل، المهمة الرئيسية التى تواجه الدول العربية؛ ألا وهى تعزيز الاستقلال الوطنى والتضامن. إن كفاح الشعوب العربية لم يكتمل بعد، ويحتل الدعم المقدم من الاتحاد السوفيتى والدول الأخرى المحبة للسلام مكانة بارزة فى هذا النضال ضد الإمبريالية، بصفته ضمانة أكيدة للنجاح فى نهاية المطاف. وقد تحتاج بلادكم أيضا الى علاقات تعاون ودية وعلى قدم المساواة ودائمة مع الاتحاد السوفيتيى، والى مساعدته. وأود فى هذا المقام أن أشير الى المثل الروسى المعروف: "لا تبصق فى البئر، فقد تحتاج يوما للشرب من مياهه"، هذه الكلمات تعبر عن حكمة الشعب.

السيد الرئيس،

لقد كنت صريحا فى رسالتى. وقد رأينا أن تقاسم الاعتبارات التى تأملناها معكم مرة أخرى وبإخلاص مسألة فى غاية الأهمية، واضعين نصب أعيننا أن تبادل الرأى على هذه الشاكلة يتوافق مع طبيعة العلاقات التى كانت قائمة بيننا حتى الآن. وأود أن أعرب عن أملى فى أن يساعد تبادل الآراء على هذا النحو فى تبديد سوء الفهم الذى نشأ بيننا، بجهد مشترك من كلينا.

ونحن على ثقة من أن إزالة أى سوء فهم عارض وسطحى يمنع من رؤية الأشياء كما هى الواقع، من شأنه أن يطور تعاوننا وصداقتنا على أسس سليمة كما كان عهدها من قبل؛ بما يحقق مصالح كل من الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة، بل وجميع الشعوب الأخرى المحبة للسلام أيضا.

مع خالص التقدير لسيادتكم.

نيكيتا خروشوف
١٢ أبريل ١٩٥٩

الى فخامة الرئيس
جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة

(٣) رسالة الرئيس إلى خروتشوف

رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر الى نيكيتا خروتشوف

فى ١٢ مايو ١٩٥٩

صاحب السعادة السيد نيكيتا س . خروشوف

رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى

عزيزى الرئيس

ينبغى أن أوضح لكم فى بداية هذا الرد على خطابكم بتاريخ ١٢ أبريل سنة ١٩٥٩ ، أن التأخير فى اعداده وارساله اليكم لم يكن له من سبب الا أن خطابكم أثار طائفة من النقط والوقائع استغرقت دراستها ومراجعتها وقتا طويلا .

ومع ذلك فانى أكاد أتصور أن التقرير الذى أرسله اليكم سفيركم فى القاهرة السيد ديمترى كيسيلف عن الاجتماع الذى سلمنى فيه هذا الخطاب ، وما ورد فى حديثى مع السفير ، حتى قبل أن تتاح لى فرصة الاطلاع على تفاصيله ، قد حوى جزءا كبيرا من ردنا عليه .

وسبب ذلك ، أنه وان كان الظلام قد بدأ يسود العلاقات بيننا كما عبرتم عن ذلك فى خطابكم - بصراحة وبحق - فان الأسباب التى أدت الى هذا الظلام - واضحة ظاهرة .

وانى لأجد لزاما علىّ قبل أن استطرد الى ذكر وجهة نظرنا فى

(يتبع)

هذه الأسباب ، أن أقرر أنه ليس هناك من هو أكثر مني أسفا على الحالة التي وصلت اليها علاقاتنا .

فلقد كنت - وما زلت - أعتز بالصداقة التي جمعت بين بلدينا - واستطعنا في اطارها أن نواجه طائفة من المصاعب التي اعترضت سبيل التطور التاريخي نحو الاستقلال الوطني في الشرق الأوسط والتي كادت في كثير من الأحيان أن تتطور الى تهديد خطير للسلام العالمي كله .

كذلك كنت - وما زلت - اعتز بأننا في العلاقات بيننا ، وسعنا لدول كثيرة غيرنا من الدول الصغرى في افريقيا وآسيا نموذجا للعلاقات الدولية بين بلدين تتفاوت مراتب القوة بينهما ، وتتباعد النظم الاجتماعية فيهما ، ومع ذلك فانهما وجدا أرضا للقاء مشترك قائم على المساواة .

ولقد كنا نشعر أن المدى الذي وصل اليه تعاوننا المتكافئ لا يلتزم حدود بلادنا فحسب ، وانما هو يتعداها ليكون مثالا لغيرنا من الشعوب التي تمر بنفس ظروفنا ، وأظنكم يا سيادة الرئيس تستطيعون أن تجدوا في تطورات علاقاتكم مع دول كثيرة في افريقيا وآسيا شواهد متعددة على الأثر الذي أحدثه النموذج الحي الذي صنعناه بالعلاقات بيننا .

ولم نكن نرضى بسهولة أن نفرط في هذا الكسب العظيم الذي

(يتبع)

حققناه فى ميدان العلاقات الدولية تطبيقا لمبادئ باندونج .

وفق ذلك ، فانكم لتعلمون يا سيادة الرئيس انه اذا كانت قوة الدول الكبرى تقاس بأرصدتها من الأسلحة النووية والقاذفات عابرة القارات ، فان الدول الصغرى - فى المعترك العالمى - تقاس قوتها بأرصدتها من الصداقات الدولية ، ولقد كانت صداقتنا معكم بندا هاما فى رصيدنا الدولى ، بحيث لم يكن من المتصور أن نتطوع بتبديد أى قسط منها ، الأمر الذى يزداد وضوحا اذا ما راجعتم ما تعلمونه أكثر منى عن موقف الاستعمار من القومية العربية ، وتربصه بها ، لكى يسترد منها ما انتزعته شعوبها من انتصارات ضده فى منطقة ظل يعتبرها ميدانا لنفوذه منذ قرون ، ثم ليثبت هذا النفوذ بعد أن يسترد ما ضاع منه .

وحتى لو لم يكن ذلك موقف الاستعمار المتربص بنا ، فان حرصنا على صداقتكم فى حد ذاتها يكفى لكى نبذل لتأمينها ، ولصيانتها ، كل جهد .

وانكم لتعرفون يا عزيزى الرئيس - أن صداقتنا معكم كانت بالنسبة لنا فرصة التعاون الوثيق معكم - ولم تكن هذه الصداقة بالنسبة لنا نقطة مساومة ، ولا كانت عملية مضاربة ضد كتلة دولية

(يتبع)

قوية بكتلة دولية أخرى تتوازن معها فى القوة .

ولقد كانت هذه المبادئ ، وما تعرضنا له بسبب ايماننا بها هى التى فتحت لكم طريق معرفتنا على النحو الصحيح ، رغم أنكم فى بداية ثورتنا القومية سنة ١٩٥٢ - تأثرتم بما كانت تروجه الجماعات الشيوعية فى بلادنا ضد هذه الثورة - ومن ثم تجدون سيادتكم فى اذاعاتكم وفى صحفكم خلال هذه الفترة الأولى من سنين ثورتنا القومية اشارات لها باعتبارها حركة فاشستية ، وكنا فى ذلك الوقت كما تذكرون نحارب معركة لا هوادة فيها ضد الاستعمار البريطانى .

ولكن هذا الموقف البدائى من ثورتنا ، لم يغير من ايماننا بمبادئنا ، وكذلك لم يغير من تقديرنا لكم حين اقتنعتم بمنطق الحوادث ذاتها بخطأ الصورة التى نقلت اليكم ، ولقد خضنا - يا سيادة الرئيس - معركة ضد الاحلاف العسكرية الاستعمارية ، وكانت هذه الأحلاف موجهة دون مواربة الى بلادكم والى شعوبكم ، وتستهدف تطويقها بالقواعد العسكرية والمطارات المعدة لقاذفات القنابل الذرية .

ولقد رفضنا بوحى من مبادئنا وحدها ومن غير اتصال بيننا كما تعلمون سيادتكم أن نكون احدى حلقات الحصار الذرى من حولكم

(يتبع)

بل ولعلكم يا سيادة الرئيس تذكرون أن حربنا ضد الأحلاف الاستعمارية التي يتجه عدوانها اليكم ، لم تقتصر على حدود بلادنا ، وانما كنا نحارب المعركة من أجل مبادئنا في منطقة بأكملها تحيط بنا ويرتبط تاريخها بتاريخنا ، ومصيرها بمصيرنا .

وفي ذلك الوقت ، وفي تلك الظروف ، يا سيادة الرئيس وجهت الينا التهم من غير حساب ، من ناحية الدوائر الاستعمارية والصهيونية التي تعرفونها جيدا .

واتهمنا في ذلك الوقت بأننا لا نعرف مصلحتنا ، وكانت مصلحتنا في منطق الاستعمار ان نتحول الى قواعد عسكرية ومطارات ذرية .

واتهمنا في ذلك الوقت بأننا نخرق وحدة العرب ، وكانت وحدة العرب في منطق الاستعمار أن نساير الذين أقاموا حلف بغداد الاستعماري او في القليل نهادنهم .

واتهمنا في ذلك الوقت بأننا نتدخل في الشئون الداخلية لغيرنا ، وكان اقناعنا عن التدخل في منطق الاستعمار أن نترك بضم الدول العربية واحدة بعد واحدة الى حلف بغداد وأن يجر شعوبها واحدا بعد الآخر الى ميدان الحرب الباردة ، وأن يقامر بها في مغامرة الحرب الساخنة التي كانت احتمالاتها تزداد خطرا لو أن

(يتبع)

حلف بغداد العدوانى حقق مآربه وتوصل الى أغراضه ، ولكن ايماننا يا سيادة الرئيس - بعدم الانحياز - حتى من قبل باندونج - جعلتنا نقف من مشاريع الاستعمار العدوانية موقف المناضل العنيد .

كذلك كان ايماننا بالقومية العربية هو الذى جعلنا نمد حدود المعركة خارج بلادنا دفاعا عن أمة ينص دستورنا كما تعلم يا سيادة الرئيس على أن شعبنا جزء منها ، كذلك كان ينص دستور سوريا قبل الوحدة ، وكذلك ينص الآن دستور العراق بعد ثورته الوطنية فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ .

وانكم لتذكرون أن المعارك بمختلف أشكالها فرضت علينا فرضا حتى تتحول من الايمان بعبادئنا .

ولقد حاولت قوات الاحتلال البريطانية التى لم يهدأ كفاح شعبنا ضدها خلال عشرات السنين ، أن تعزل منطقة من أرضنا فحملنا السلاح لكى نجعل حياة جنود الاحتلال فى هذه المنطقة جحيما لا يحتمل .

ثم حاول الدهاء البريطانى على مائدة المفاوضات أن يأخذ منا باليسار ما كان يوهمنا أنه يعطينه الينا باليمين ، ولكن الدهاء البريطانى اضطر أن يوقع على اتفاقية الجلاء فى خريف ١٩٥٤ .

(يتبع)

وحين رفضنا أحلاف الاستعمار العسكرية بدأت محاولات اخضاعنا باحتكار السلاح ، ومنعه عنا ، وتحريض اسرائيل ، كما جرى في الغارة على غزة بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٥٥ - أن تعتدي على أرضنا .

ثم كان التضييق الاقتصادي علينا تمهيدا للحصار الكامل ثم كانت حرب الدعاية ضدنا وتشويه مقاصد ثورتنا وأهدافها ، هذه الحرب التي وصلت الى ذروتها في ابان معركتنا الأولى لاسقاط حلف بغداد في الشهور الأولى لسنة ١٩٥٥ .

وخلال هذا كله ، كما لا بد تذكرون يا سيادة الرئيس لم تكن الصلات بيننا قد توقفت ، ولا كان التعاون بين بلدينا قد ترابطت عراه .

وانما كان الأمر بالنسبة لنا أمر مبادئ آمنا بها ، ووجدنا واجبنا الوطني أن ندافع عنها بكل ما في طاقتنا من القدرة على التضحية والصمود بل والعناد وهي صفة أجد الآن مع الأسف ، أنها لم تعد تلق الفهم الذي كانت تلقاه ، وتحولت في تقديركم الى عيب كبير ، وكانت من قبل ، في ظروف أخرى ، مزية كبيرة .

ولو أن الاصرار على التضحية والصمود - بل والعناد - كانت أقل مما هي فعلا - لكان من العسير علينا يا سيادة الرئيس أن نواجه

(يتبع)

الاستعمار بمثل ما واجهناه به من رفض للمساومة فى استقلالنا ومن اعراض عن مشاريعه العدوانية ، ومن حرب على هذه المشاريع كيلا تنجح فى بلادنا ، ومن تحمل للضيق الاقتصادى ، ومن مواجهة لحرب الأعصاب والدعاية ، ومن احتكار للسلاح .

ولولا هذا الاصرار والصمود ، بل والعناد يا سيادة الرئيس ما كانت أيدينا قد وجدت الشجاعة أن تمتد لكى تطلب منكم السلاح الذى قبلتم مشكورين فى ذلك الوقت أن تبيعوه لنا - بعد أن تبين لكم فى غير شك أو تردد ان ثورتنا الوطنية لا تضرب جذورها الا فى أرض آبائنا .

وهكذا يا سيادة الرئيس ، تكللت التجربة العملية ، وتكللت الحوادث نفسها ، بأن تغير موقفكم من ثورتنا الوطنية ، فأصبحتم تعرفونها على حقيقتها ، وليس كما حاولت بعض الجماعات التى ترفع الأعلام الشيوعية ، والتى فشلت فى استغلال الثورة الوطنية فى مصر لصالحها ، ان تصورها لكم .

وهكذا تجلى لى فى تعاملكم معنا أثر هذه المعرفة ومن ثم بدأت العلاقات بين بلدينا تدخل طورا جديدا من أطوارها تقوم أسسه على مبادئ التعايش السلمى .

(يتبع)

وانكم لتعلمون - يا سيادة الرئيس - أن الاستعمار وقد هالـه التأثير البعيد المدى لهذا النموذج الذى حاولنا أن نرسمه فى العلاقات الدولية - قد حاول بعدها بكل ما وسعه الجهد أن يقطع هذه الصلات التى قامت بيننا .

هكذا راح الاستعمار يتهمنا بأننا اصبحنا منطقة لنفوذكم ... بل مستعمرة لكم .

ثم راح الاستعمار يحاول تشكيكنا فيكم وهو يصور لنا أنكم ما مددتم يد التعاون الينا الا لأنكم تريدون لنا لعبة فى الحرب الباردة .

بل راح الاستعمار يقدم الينا من المغريات ما يباعد طريقنا عن التعاون معكم ، وفى تلك الظروف كما تعلمون تقدم الينا عرض المساهمة والمساعدة ، فى تمويل مشروع السد العالى ، ولكن التشكيك لم يلق غير الفشل .

وكذلك لم يستطع الاغراء - مهما بلغت شدته - أن يجعلنا نفرض فيما نؤمن أنه مبدأ وعقيدة .

وهكذا دخلت علاقاتنا مع الاستعمار فى مرحلة عنيفة بدأت بمحاولة

(يتبع)

عقابنا على كل ما أصررنا عليه وصمدنا وعاندنا ، وكان من ذلك سحب عرض المساهمة - والمساعدة - فى تمويل السد العالى - وبالطريقة التى تم بها هذا السحب ، وغير خاف عليكم يا سيادة الرئيس ما كان هذا السحب ، والطريقة التى تم بها ، تستهدفه من تأثير فى الأوضاع الداخلية لجمهورية مصر فى ذلك الوقت .

وكان أمامنا - اما ان نستسلم لكل هذه الانواع من الضغط يا سيادة الرئيس ، ومن ثم يضيع كل ما حققناه ، وتنهار مبادئ الثورة الوطنية فى مصر وهى الركيزة القوية للقومية العربية ، وتعود المنطقة كلها كما كانت منطقة نفوذ للاستعمار دون منازع ، وقاعدة عسكرية هائلة لاحلافه العسكرية العدوانية .

واما ان نصمد وأن نستجمد بكل ما فى طاقتنا من الاصرار على التضحية والصمود ، بل والعناد ايضا ، لكى نحبط خطة الاستعمار ونفوت عليه هدفه .

وعادت قناة السويس الى الشعب الذى حفرها بشقائه وعنائه عادت اليه لتساهم فى بنائه ورخائه ، وكانت تلك كما تعلمون سيادتكم ضربة لا الى الاستعمار وحده وانما الى كل القوى التى تحركه وفى مقدمتها الاحتكارات المتخلفة من افكار القرن التاسع عشر .

(يتبع)

ولقد قمنا بهذه الخطوة وحدنا كما تذكرون سيادتكم لم نتشاور فيها معكم ولا حملناكم شيئا من تبعات ما يمكن أن نواجهه نتيجة لها ، وكنا ندرك منذ البداية أن المعركة ستكون عنيفة مضنية ، ولكنها كانت بالنسبة لنا معركة دفاعية لا مفر منها ، ولا بديل عنها الا أن نستسلم للأمر الواقع كما يريد الاستعمار ان يفرضه .

ولقد كان عرفاننا عميقا ، وتقديرنا بالغا ، لما أعلنتم بعد ستة وثلاثين ساعة من تأميم قناة السويس أنكم تؤيدون موقفنا

ولقد كنا ندرك خلال الساعات التي سبقت اعلان رأيكم أن من حقكم أن تدرسوا التطور الكبير الذى كان مفاجأة لكم ، وأن تقدروا نتائجه بأنفسكم قبل أن تحددوا موقفكم منه .

ولقد حاولنا بعد التأميم بكل طاقتنا ان نشرح للرأى العام العالمى موقفنا وأن نحبط خطط العدوان الاستعمارية التى بدأت تذرها تملأ الجو من حولنا وذهبنا الى الأمم المتحدة نحتكم للعقل حتى لا يكون الاحتكام للمدافع وما قد يجره ذلك على السلام العالمى من أخطار .

ولا نستطيع يا سيادة الرئيس أن نصل الى هذا الحد من استعراضنا للأمور - دون أن نعود للاشادة بما كان لكم . ولدول أخرى صديقة

(يتبع)

فى طليعتها جمهورية الهند ، من جهد بارز فى محاولة الوصول الى حل سلمى لذلك الموقف الذى بدأ العالم يسمع فيه قعقعة السلاح .

ولكن الاستعمار الذى فقد قاعدته فى بلادنا ، وفقد نفوذه فى المنطقة من حولنا ، والذى ضيع مع هذه المزائم منطق الحق والعدل لم يجد باقيا فى يده من وسائل العمل غير السلاح .

وانى لأستبيحك العذر - يا سيادة الرئيس - أننى أعيد عليك هذا كله الآن ، ولكنى أجد هذا أمرا لا مفر منه فى هذه المرحلة من علاقاتنا اذا كنا نريد باخلاص وصدق أن نبدد الظلام الذى بدأ يسود علاقاتنا .

فانه ما لم توضع المسائل كلها بوضوح ، وما لم يترابط سياقها فى غير مجال للبس فاننا سنتعرض للذى يبدو لى أننا تعرضنا له فعلا من سوء الفهم او سوء النقل وليست أخفى عليك أننى بعد أن فرغت من قراءة خطابك لى بتاريخ ١٢ أبريل تملكتنى الدهشة لبعض ما ورد فيه حتى لقد أحسست أمام بعض الفقرات اننى أقرأ مقالا فى احدى صحف الغرب ، حيث تنحرف الوقائع عن أصلها ، وحيث تمتلئ الفجوات بين الحوادث بالتصورات ، وحيث تعز الحقائق على الكتاب فيلجأون الى الخيال !

وان التفسير الوحيد الذى أجده فى قدرتى لذلك الوضع

(يتبع)

هو أن أخطاء لا تغتفر قد وقعت في الفهم ، او في النقل ، او في الترجمة ولعلك لم تنس يا سيادة الرئيس أنك قلت لي مرة اثناء اجتماعنا في شهر مايو سنة ١٩٥٨ أن أخطاء في الترجمة كانت من أهم أسباب الخلافات بينكم وبين الماريشال جوزيب بروز تيتو رئيس اتحاد جمهوريات اليوغوسلافية الاشتراكية الشعبية .

ويظهر ان هذا السبب ، سواء الترجمة على أرجح الفروض ، قد عاد يفعل نفس التأثير المدمر في أزمة العلاقات بين بلدينا .

لهذا فاني كما قلت لك - حريص في هذه المناسبة أن لا أضيع هذه الفرصة ، في هذه اللحظات الحاسمة ، لكي أشرح لك باستفاضة وتفصيل كل وجهة نظري كما اراها وأسجل ذلك كتابة على الورق لا أتركه لذاكرتك او لذاكرتي ، ولا لقدرة مترجم يقدر أو يعجز عن التعبير .

عزيزي الرئيس

وانكم لتذكرون كيف جاءنا العدوان على غير انتظار ، انه وقت كنا فيه نعتقد - وكانت المعلومات التي أفضيتم بها الينا في ذلك الوقت تساعد هذا الاعتقاد - بان ذروة الأزمة قد مرت بسلام ، وأن المفاوضات التي تقرر أن تستمر في جنيف والتي حدد لها يوم ٢٩ اكتوبر تحت اشراف الأمم المتحدة قد فتحت الى حد كبير على احتمالات التدخل العسكري المسلح .

(يتبع)

ولكن العدوان كما تذكرون سيادتكم جاء في نفس الوقت الذي كنا نستعد فيه للمفاوضات في جنيف .

ولقد وجدنا أنفسنا فجأة نتعرض لعدوان بشع لا أجد في وصفه أبرع ولا أدق من العبارات التي وصفته في أحاديثكم العديدة وفي خطبكم التي نقلتها الأنباء الينا في ظروف تلك الأزمة العصيبة والتي كان لها من الوقع في نفس الشعب المصري وفي نفوس الشعوب العربية ، وفي نفسي كمواطن عربي ، أثرا لا أظنني أقدر على أن أفيه حقه من الوفاء والوقار .

ودعني هنا يا سيادة الرئيس أوضح نقطة اشتد فيها الجدل بيننا والنقاش .

لقد قلت في خطبة ألقيتها في دمشق أننا كنا نقف في مواجهة العدوان الثلاثي في ميدان القتال وحدنا لا ننتظر معونة أحد .

ولكن هذه العبارة على ما أحسست من خطابك ومن تصريحات لك لم تقع منك موقع الرضا .

وأحب أن أقول أنه لم يخطر في بالي ، ولا في بال أحد من أعضاء حكومتي أن يقلل من قيمة الانذار الذي وجهه رئيس الوزراء السوفييتي في ذلك الوقت ، ولكن هذا لا يعني أن الحقيقة التي أوردتها في خطابي بدمشق ليست صحيحة الى أبعد الحدود .

(يتبع)

لقد كنا فى ميدان القتال وحدنا .

كان جنودنا فى سيناء يحاربون على أرض سيناء وحدهم .

وكان جيشنا وشعبنا فى بورسعيد يحاربون فى شوارع بورسعيد وحدهم .

ولم تكن نؤمل فى عون الا من الله .

ولعلك يا سيادة الرئيس تذكر أنه فى أثناء العدوان الثلاثى على مصر ، تصادف أن زار الاتحاد السوفييتى وقتها السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وأنه وجد بدافع التضامن العربى وبحافز الأخوة المخلصة أن يتباحث مع أقطاب حكومتكم فيما يمكن أن تقدمه بلادكم لنا من مساعدة .

وكان العدوان الثلاثى ضدنا كما تذكرون سيادتكم قد بدأ يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر عام ١٩٥٦ وكانت زيارة الرئيس شكرى القوتلى تبدأ يوم ٣٠ اكتوبر ، ثم اتيحت له فرصة التباحث مع رئيس الوزارة السوفييتية السيد نيكولاى بولجانين بحضور عدد من قادة الاتحاد السوفييتى وكبار ماريشالاته العسكريين ، ثم تلقيت رسالة بعث بها الىّ الرئيس شكرى القوتلى حددت موقفكم من العدوان وكانت هذه الرسالة

(يتبع)

تمثل الموقف كما حدده الرئيس القوتلى بعد اجتماعاته بقادة الاتحاد السوفييتى .

وكان واضحا فى هذه الرسالة :

١ - أن الاتحاد السوفييتى غير مستعد لدخول حرب عالمية .

٢ - أنه على هذا الأساس لا يستطيع الاتحاد السوفييتى أن يتدخل عسكريا ولا حتى بارسال متطوعين .

٣ - أن أقصى ما يمكنه عمله لمساعدتنا هو ارسال بعض المعدات الينا ومعها بعض الفنيين .

وأؤكد لك يا سيادة الرئيس - أننى قدرت هذه الرسالة حق قدرها ولم يخطر ببالى حتى فى الجو المكهرب الذى كان يحيط بوطننا وقتها ان أحملكم فوق ما تقررون أنكم قادرون على احتماله .

ولقد كان كل ما فعلته وأسمح لى أن أذكر لك هذا السر الآن اننى نزعت هذه الرسالة من الملف الذى كان يضمها ووضعتها فى جيبى لأنى لم أشأ أن يطلع عليها من قد تتأثر روحه المعنوية بقراءتها .

ولم تخرج هذه الرسالة من جيبى الا بعد أن كانت المعركة قد انتهت فأمرت أن تعاد الى مكانها فى الملف كاحدى وثائق الدولة وشواهد التاريخ .

(يتبع)

وما زلت أعتقد أن هذه الوثيقة شرف كبير لنا ، اذ هي خير دليل على اننا حاربنا ، ولم نكن في ميدان القتال وحدنا فقط ، وانما كنا ندرك أيضا اننا سنظل وحدنا .

ولعلك تدرك يا سيادة الرئيس أن الانذار السوفييتي الذي لا يستطيع أحد أن ينكر أثره قد صدر من موسكو مفاجأة لنا بعد أن مرت تسعة أيام كنا فيها في ميدان القتال وحدنا ، ولقد كان يمكن أن نفقد عزيمتنا ، ولقد كان يمكن أن يشتد اليأس بنا ، ولقد كان جائزا يا سيادة الرئيس أن نستسلم أمام ثلاث دول هاجمتنا فجأة وبينها دولتان من الدول العظمى - كان يمكن أن نستسلم بعد يومين أو ثلاثة ، أو أسبوع بل لقد كان يجوز أن نستسلم صباح اليوم الذي صدر فيه انذاركم من موسكو وماذا كان يجدي الانذار يومها يا سيادة الرئيس اذا كان موضوعه قد انتهى وسقط .

واذن فان الأمر على حقيقته لم يكن فقط أن الشعب المصري حارب وحده في الميدان ، ولم يكن فقط يعرف أنه سيظل وحده في الميدان بل كان كل شيء حتى الانذار السوفييتي الذي صدر بعد تسعة أيام من بدء القتال يتوقف على صمود هذا الشعب واستعداده للتضحية ، بل وتصميمه على العناد .

(يتبع)

ومع ذلك فلقد أشدنا بالانذار السوفييتي وأثره ، ولم نكن نمل الحديث عنه عرفانا واقرارا .

لقد كانت اشادتنا بأثر هذا الانذار من أسباب تعرضنا بعد العدوان لحملة عنيفة اتهمنا خلالها بأننا نسينا الموقف الذي اتخذته الامم المتحدة ، ونسينا دور الضمير العالمي في وقف العدوان .

ولقد كان الأمر الذي استوجب التصريحات التي لم تقع منكم موقع الرضا عن الحقيقة في أمر العدوان - أن اذاعات كثيرة تنطق باسمكم وصحف تصدر في بلادكم راحت وسط مناقشات بيننا وبين الحزب الشيوعي السوري تعود بالفضل كله الى هذا الانذار وتصور الأمر على نحو يبدو معه أن الشعب المصري لم يقاتل والشعب السوري لم يهب ، والشعوب العربية كلها لم تتحفز ، وانما هي جميعا قبعت ساكنة في انتظار أن ينقذها هذا الانذار .

ولقد كان واجبا علي أن أحق الحق وأرد الأمر الى نصابه وأن أضع دور شعبنا في مكانه الصحيح باعتبار أنه كان الجيش الحقيقي بل الجيش الوحيد في ميدان القتال ، ولست أرى أنه يمكن انكار هذه الحقيقة كذلك لست أرى أنه ينبغي الاقلال من قيمتها او تجاهلها .

اما الحديث هنا عن دور الله في المعركة والتساؤل الذي ورد في

(يتبع)

خطابكم - وتكرر قبل خطابكم فى بعض اذاعاتكم - فى معرض التساؤل (بما فعله الله) وما فعله الله وما فعله الاتحاد السوفييتى ، فانى أسمح لنفسى أن أقول أننا لا نفصل الدور الذى قام به الله فى معركتنا عن الدور الذى قمنا به بأنفسنا ، ذلك أن ايماننا العميق هو أن روح الله كانت فى قلوبنا تشد عزائمنا وتقوى بأسنا .

وليست هذه يا سيادة الرئيس محاولة للتبشير بالدين ، وانما هى محاولة لاظهار أن المقاييس المادية لا تكفى وحدها لوزن الأمور فى كثير من الأحيان .

ولو أن هذه المقاييس المادية وحدها طبقت فى ظروف العدوان لكان حتما علينا أن نستسلم ولا نقاوم ، وأين هو العقل الذى يقبل أن يقف شعب صغير فى مواجهة دولتين من الدول العظمى معهما دولة ثالثة من صنائعهما ، جاءوا من كل ناحية حولنا وسدوا مداخل البحر - وكان لا بد أن يسدوها بأساطيلهم ، وسيطروا على الجو وكان حتما ان يسيطروا عليه ، وأنك لتذكر ان المعلومات التى توافرت لديكم أثناء ذكرت - كما ورد فى ذلك الوقت فى اذاعاتكم أن ما اشترك من طائرات عدونا فى العمل ضدنا وصل الى أكثر من ألف وخمسمائة طائرة .

(يتبع)

وكنا وحدنا في مواجهة هذا كله يا سيادة الرئيس حتى من الناحية الجغرافية ، وهبوا جدلا أنكم اردتم وقتها أن تسيروا جيوشكم لنجدتنا فكيف كانت تصل الينا وبيننا وبينكم بحار وبلاد تعيش فيها دول بعيدة عن موضوع النزاع .

ودعني اعود فأكرر اننا كنا نقدر موقفكم ونفهم دوافعه ، ولم يخطر ببالنا في أي وقت أن نطلب منكم - أو نتوقع - ان تدخلوا حربا عالمية من أجلنا .

واننا لندرك أنكم تزنون الأمور حق وزنها ، وما من منطق يرضى أن تتولى تجارب بلادنا ، ان تفرض عليكم موعد الحرب العالمية الثالثة وانما لظروفكم اعتباراتها الخاصة ، ولعقابيلكم اسبابها ، وينبغي أن يكون اصدقاؤكم أول من يفهم ويقدر ، ولقد كنا - ولا زلنا - يا سيادة الرئيس نعتبر أنفسنا من أصدقائكم ، ولذلك حاولنا أن نكون اول من يفهم ويقدر .

ولقد تعرضنا كما تذكرون بعد العدوان مباشرة لمحاولات أخرى حاولت أن تحقق نفس اهداف العدوان بأساليب أكثر هدوءا وأقل صخبا .

ولكن هدف الاستعمار بقى نفس الهدف وهو أن يقضي على بلادنا وعلى الركيزة التي رست في أرضها حركة القومية العربية .

(يتبع)

وكل الفارق بين المحاولات الجديدة والمحاولات السابقة هو الفرق بين محاولة قتل فرد بالرصاص وقتله بالجوع .

ولربما كان القتيل بالرصاص أكثر صخبا .

ولكن محاولة القتل بالجوع كانت أشد قسوة .

وفي الوقت نفسه بدأت كما تذكرون محاولة عزلنا عن باقي الدول العربية المحيطة بنا .

اشتد الحصار الاقتصادي علينا ، وبذرت الشكوك بيننا وبين اخواننا ، بل ولفقت ضدنا الأدلة المزيفة .

وما أكثر ما تردد في ذلك الوقت يا سيادة الرئيس أننا نتدخل في الشئون الداخلية لهذا البلد أو ذاك من البلاد المحيطة بنا ...

ولقد قيل في ذلك الوقت أننا نتدخل في شئون لبنان الداخلية وقيل في ذلك الوقت أننا نتدخل في شئون الأردن الداخلية ، بل وجرى الادعاء على حد اتهامكم معنا في مؤامرة تستهدف السيطرة على الأردن واتخذ ذلك ذريعة للقيام بانقلاب على الحكم الوطني في الأردن .

وقيل في ذلك الوقت أننا نتدخل في شئون المملكة السعودية الداخلية وفي شئون السودان وفي شئون ليبيا ، وفي شئون تونس .

ومن عجب يا عزيزي الرئيس أنكم في رسالتكم بتاريخ ١٢ أبريل

(يتبع)

اكملتم الطريق الى الحد الذى اتهمتمونا فيه بالتدخل فى شئون الاتحاد السوفييتى الداخلية .

وياله من طريق طويل ، ذلك الذى قطعه تدخلنا المزعوم فى الشئون الداخلية لغيرنا منذ بدأنا نحاوله فى الأردن حتى وجدنا الجرأة على أن نمارسها فى الاتحاد السوفييتى ذاته !!

وعلى أى حال فلقد كان موقفكم من تهم التدخل التى وجهت الينا فى الماضى تختلف عن موقفكم الآن ، ولقد كان واضحا فى ذلك الوقت أنكم تعرفون دور الاستعمار وتدركون خطته ، وكانت اذاعاتكم وصحفكم بل وتصريحاتكم شخصيا فى ذلك الوقت ، من أكبر العوامل الفعالة فى كشف المؤامرة الموجهة الى عزل مصر عن العالم العربى والتى اشتهرت باسم مشروع أيزنهاور .

بل ولقد مضيتم يومها فى مشاركتنا فى دفع خطر هذه المحاولة لتحقيق اهداف العدوان بوسائله المختلفة الى حد ايجابى ، حينما استجبتم لما طلبناه منكم فى ارسال بعثة من بلادنا توجهت الى عاصمتكم برئاسة المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ونائب رئيس الجمهورية يطلب منكم المساهمة فى تمويل مشروعاتنا الصناعية التى وجدنا أنه لا بد لنا من القيام بها لمواجهة الحصار الاقتصادى وحرب الجوع الموجهة الينا .

(يتبع)

ولقد تمكنا بفضل روح التعاون التى لقيتها بعثتنا فى عاصمتكم ، وبفضل الجهود التى كنتم تبذلونها شخصيا ، من الوصول الى اتفاقية للتعاون الاقتصادى تم توقيعها فى ١٨ من نوفمبر ١٩٥٧ ، وبمقتضاها وضعتم تحت تصرفنا مبلغا يساوى ٦٢ مليونا من الجنيهات قرضا يسدد على آجال طويلة ويخصص لمشروعات التنمية الاقتصادية فى بلادنا .

وينبغى أن أذكر لك هنا ونحن نتحدث بهذه الصراحة فى محاولة جادة لتصفية أسباب الظلام الذى بدأ يسود علاقاتنا - أن البعثة المصرية فى موسكو واجهت بعض ما أثار انتباهها فلقد جرى حديث بين السيد تسائيسيف رئيس قسم الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية السوفييتية وبينها ، وهو يتولى منصب السفير السوفييتى فى العراق الآن - وبين ثلاثة من أفراد البعثة المصرية هم اللواء حافظ اسماعيل نائب رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، واللواء عبد العزيز مصطفى قائد المدرعات ، واللواء جمال عفيفى مدير العطيات فى سلاح الطيران - وفى هذا الحديث الذى دار فى قصر الكريملين سمع الثلاثة من السيد تسائيسيف ما ملخصه :

" أن الحياد الدولى خرافة .

وأنه يتعين على مصر أن تختار معسكرا دوليا تنضم اليه وأنها لن تجد القوة الحقيقية الا اذا انضمت لمعسكر قوى

(يتبع)

ثم استطرد السيد تسائيسيف يقول لهم :

" لماذا تخافون من الشيوعية ، تقبلوها ونحن نقويكم وندافع عنكم ، ان الحياد لعب على الحبل لا يطول أمره " . ولقد رأى المشير عبد الحكيم عامر رئيس البعثة المصرية بعد أن نقل اليه هذا الحديث أن لا يشير به على نطاق واسع خوف التأثير الذى يمكن أن يلحقه بالعلاقات بيننا ، وفضل ، وفضلت معه — حين وصلنى الأمر — أن لا نضع منه أزمة تكدر العلاقات بيننا .

وعلى أى حال فلقد أقنعنا التعاون — الذى بدا خلال مفاوضات التعاون الاقتصادى ، والنتائج التى انتهت اليها — بأن السيد تسائيسيف كان يتحدث بآرائه الشخصية ، ومن سوء الحظ أن بعض التطورات الاخيرة والجهود التى يبذلها السيد تسائيسيف نفسه كسفير للاتحاد السوفييتى فى العراق ، قد بدأت توحى بأن الأمر أكثر من مجرد الآراء الشخصية لسفير .

ولقد مضى برنامج التعاون الاقتصادى بيننا على أى حال وبدأ يحقق الآمال المعلقة عليه وكانت مناقشته فى مجلس الأمة المصرى فرصة اتخذناها للتعبير مجددا عن شكرنا للاتحاد السوفييتى .

وهنا ينبغى — يا سيادة الرئيس — أن أرد على ملاحظتكم التى وردت فى خطابكم عن المساعدة الاقتصادية وكيف انكم لا تفرضونها على أحد لا يريدها .

(يتبع)

اهب

وأحب أن أؤكد لك يا سيادة الرئيس أننا نحن الذين سعينا الى معونتكم الاقتصادية وطلبناها بشجاعة وبشرف .

وأؤكد لك أيضا أننا لا زلنا نتمسك بها ولا نعتبرها قيدا على حريتنا نقول لك ذلك بشجاعة وبشرف أيضا .

والدليل على ذلك أننا لم نمنعنا أن نبدى لك رأينا - بشجاعة وبشرف - فيما بدا لنا من مواقفكم تجاهنا .

وسيظل ذلك دائما موقفنا ، من غير ادعاء ومن غير ضعف ، وأننا نتصور أنك خلال معرفتك بتاريخنا تتفق معنا فى هذا الرأى .

وعلى أى حال فقد بدأ العمل بيننا بوضع اتفاقية التعاون الاقتصادى موضع التنفيذ .

وهنا أيضا حرصنا على أن نضعها أمام الرأى العالمى كنموذج حى من نماذج تطبيق روح باندونج للتعاون الدولى غير المشروط فى سبيل التنمية الاقتصادية .

وأن الاحاديث الصحفية ، والخطب ، ومقالات الصحف ، واذاعات الجمهورية العربية المتحدة ، لتحفل فى تلك الفترة بالاشادة بكم وبتعاونكم المخلص على أساس التعايش السلمى مع الدول التى تختلف عنكم فى مناهجها الاجتماعية .

(يتبع)

وحاولنا ، بل ونجحنا تماما ، فى أن نزيل من أذهاننا كل أثر لملاحظات السيد تسائيسيف ولكن سوء الحظ قضى أن تعود التطورات الى تذكيرنا بهـا ، اذ راح ما حدث فى موسكو يتكرر على نحو متشابه مع ما بدأ يحدث فى دمشـق حين أخذ موضوع الوحدة الدستورية بين مصر وسوريا طابعـا عمليا فى بدايـة عام ١٩٥٨ .

ولقد كان من حقنـا ان نتساءل عن حقيقة موقفكم من هذه الخطـوة التى تضع حلما عربيا خالدا موضع التنفيذ بعد كفاح طويل مرير استغرق مئات السنين .

كان موقفنا يا سيادة الرئيس ان نتساءل والشواهد فى مظاهرها تشير الى أن الاتجاه الجديد الى الوحدة لا يلائم ميولكم ورغباتكم .

ولقد كان مما يشير الى هذا تلك الأقوال والملاحظات والعبارات التى صدرت عن أفراد سفارتكم فى دمشق ، ولعلكم تذكرون يا سيادة الرئيس انـنى فى هذه الفترة بعثت اليكم بنماذج مما جاءنا نقلا عن هؤلاء الافراد من سفارتكم ولعلكم تذكرون أننى سألتكم عما اذا كان ذلك يعبر عن رأى الحكومة السوفييتيـة وكان الرد الذى تلقيته بالنفى .

وكان مما يشير الى اتجاهكم من الوحدة موقف الحزب الشيوعى السـورى الذى عز عليه أن يتقبل الاجماع الشامل للشعب السورى ، وكان النائب الشيوعى هو النائب الوحيد الذى فضل أن يهرب من البلاد كلها كى لا يرى الشعـب

(يتبع)

يحقق بنفسه ما يريده .

ولقد تأكد لنا أن تصرفات هذا النائب الشيوعى تشير الى اتجاهكم عندما وجدناه يلجأ الى بعض بلدان الكتلة الاشتراكية ، ثم زاد على ذلك اخيرا ان وقف بجواركم فى احتفال المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعى وراح يتهجم على حكومة بلاده ، الامر الذى سبب لنا مزيدا من القلق والانزعاج ومبعث هذا القلق والانزعاج ليس فيما يمكن أن يحدثه كلام هذا الهارب ، فان نتيجة الاستفتاء على الوحدة فى سوريه كانت بمثابة تصفية نهائية لكل ما يدعيه ، وانما كان مبعث القلق والانزعاج أن تنتهك مبادئ التعايش السلمى بهذا الشكل العلنى ، وأن يثار شعور اجماع الشعب ، من أجل فرد ثبت أنه لا يمثل من الأمة شيئا .

كذلك كان مما يشير الى اتجاهكم أن الاتحاد السوفييتى بعد اعلان الوحدة فى أول فبراير من القاهرة ظل أكثر من أسبوعين حريصا على الامتناع عن ابداء رأيه فيها سواء عن طريق رجاله الرسميين أو عن طريق اذاعته وصحافته التى تنطق دائما بوجهة النظر الرسمية .

وعلى أى حال فلقد كان لا بد لحكم الطبيعة وحكم التاريخ وحكم المستقبل أن يأخذ مجراه فتحققت الوحدة .

وبدأت أتطلع الى فرصة نجتمع فيها ونتبادل فيها وجهات النظر ونتعرف معا على مشاكل كل منا ونظرته للأمور ، لذلك كانت سعادتى غامرة

(يتبع)

أن اتيحت لى فرصة زيارة بلدكم العظيم فى شهر ابريل من سنة ١٩٥٨ ، وكانت تلك أول زيارة لى خارج بلادى بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد كنت أتطلع الى حديث مفيد والى مناقشات مجدية والى استقرار فى العلاقات بين بلدينا والى دعائم من الفهم المستنير تقوم عليها هذه العلاقات .

والعجيب يا سيادة الرئيس اننى عدت الى وطنى وفى تصورى أن جزءا كبيرا من ذلك قد تحقق ، ولكننى وجدت أخيرا أن الصواب لم يكن معى فيما تصورت .

ولقد هالنى يا سيادة الرئيس — أؤكد لك — أن أقرأ فى خطابك الأخير بعض ما تبين أنك فهمته مما قلته لك فى الاجتماعات بيننا فى بلادك .

وأؤكد لك اننى لا استطيع أن اتصور أن أى أخطاء فى الترجمة مهما كانت فداحتها كان يمكن أن تؤدى الى هذا التباين بين ما دار بيننا كما أراه ، وبين ما رأيته أنت على حد ما جاء فى خطابك لى .

وينبغى أن أقول لك فى صراحة اننى لم أجد نفسى ولا وجدت آرائى التى أؤمن بها فى بعض ما ورد فى خطابك ، وانما واستيحك العذر ، وجدت شيئا أقرب ما يكون الى روايات صحف الغرب فى حملاتها العنيفة التى كانت تستهدف تشويهنا .

من ذلك مثلا ما تناول حديثنا فى موسكو عن الأوضاع فى البلاد العربية المجاورة لنا .

(يتبع)

ولقد رويت اننى سألتك عما يمكن عمله لتغيير الأوضاع فى هذه البلاد بالقوة وانى سألتك العون فى ذلك وأنك اسديت لى بأن امتنع عن التدخل الى آخر ما جاء فى خطابك حول هذا الموضوع .

لقد هالتنى — أؤكد لك يا سيادة الرئيس — هذه الرواية كما جاءت فى خطابكم فانها فى سياقها وتفاصيلها أبعد ما تكون عن الحقيقة .

ولقد كان ما حدث ولعلكم تعيدون التحقق من المترجم الذى كان ينقل حديثنا — اننى سألتك :

— ماذا سيكون موقف الاتحاد السوفييتى اذا حدثت محاولة من الداخل لتغيير الأوضاع فى البلاد القريبة منا والتى تخضع لنفوذ الاستعمار ؟ .

بل لقد حددت سؤالى بعد ذلك صراحة أثناء المناقشة :

— هبوا أن ثورة حصلت فى العراق أو فى الاردن ثم تبعها تدخل اسرائيلى بالاشتراك مع الدول الاستعمارية ، فماذا يكون موقف الاتحاد السوفييتى فى هذه الحالة ؟ .

ولعلك تذكر يا سيادة الرئيس وانى لأذكر قطعا انك قلت لى :

— أننا نفضل أن لا يحدث شئ ، ونفضل أن يتم أى تغيير بالوسائل السلمية

وقلت لك :

— ان احتمالات حدوث حركة داخلية بالوسائل السلمية فى هذه البلاد التى يسيطر عليها الاستعمار والرجعية قليل ، والخوف هو أن نفاجأ بأمر واقع

(يتبع)

من جماعات وطنية متحمسة لا تستطيع أن تترك الاستعمار يضربها ويسحق آمالها .

وقلت لـه

— اذا كنت تستطيع الاتصال بهذه الجماعات فاستعمل نفوذك معها لكى لا تتحـرك .

وقلت لك :

— أن الذى يفكر فى عمل من هذا النوع لا يتصل بى وانما الذى أخشـاه أن نفاجأ بأمر واقعى لم نتأهب لـه .

ولقد انتهت مناقشتنا دون أن أحصل منك — كما لعلك تذكر — علـى رد ايجابى للمشكلة التى كان واضحا أننا سنواجهها يوما ما فى الشرق الأوسـط ، ولقد تحقق ما كنا نتوقعه فعلا ! بل واثبتت التطورات اننا لم نكن نتعجل الحوادث .

ومن العجيب أن ما ورد فى خطابك يبين انك تصورت الأمر على عكـس ما كنت أقصده ، فلم يخطر ببالى على الاطلاق ان نتكون فى موقف المهاجم وانمـا كنت أريد أن أكون فى وضع المستعد للدفاع ، وكيف كان يخطر ببالى مثـلا أن أتصدى لمهاجمة الأوضاع بالقوة فى بلاد يسيطر عليها حلـف بغداد بمثـل الامكانيـات العسكرية له وللدول المشتركة فيـه .

كذلك لم يخطر ببالى أن يرتفع سلاح عربى ضد بلد عربى ولقـد

(يتبع)

واجهت فى الماضى من الاستعمار استفزازات لا حد لها عسى أن تفلت منا أعصابنا ونخرج عن قاعدة التزمنا بها خلال تاريخ طويل ، ولقد خابت استفزازات الاستعمار واحدة بعد واحدة .

وأنه ليدهشنى انك تصورت أنى أريد عونك فى مغامرة عسكرية ضد بلاد عربية ، وكيف يمكن أن تقيم ذلك ونحن نعتبر أى تهديد لأى بلد عربى مهما كانت ظروفه تهديدا لنا ، وإذن فكيف يمكن أن تدفعك الى مكان نجد أنفسنا مرغمين على التصدى لك فيه — تضامنا مع شعوب أمتنا — حين تتعرض لتهديد منكم .

كذلك لو أن تغيير الأوضاع بالقوة فى العراق أو فى الأردن كان مما يمكن أن يخطر ببالى فما كان أسهل محاولته على الأقل ولقد كان الجيش السورى فى الأردن وما كان أسهل اصدار الأمر بالقتال ولكن ذلك شىء لا تأباه مبادئنا فقط بل تنكره كل قطرة من الدم العربى الذى يسرى فى عروق شعبنا .

وانى لأخالك أيضا يا سيادة الرئيس ، تستبعد أن يكون الحديث فعلا قد جرى بيننا على النحو الذى يرويه خطابكم وذلك فى رأيى سبب اصراركم على تكرار انكم تعتمدون على المحاضر التى كتبها المترجمون خلال اجتماعاتنا اما أنا فقد كنت اعتمد على ذاكرتى .

والواقع أننى لم أكن أحمل ذاكرتى فوق ما تطيق لذلك فانى كنت

(يتبع)

دائما بعد كل اجتماع من اجتماعاتى بكم اعقد لجنة من وفدنا أروى لها ما حدث ونسجله فى محاضر ولقد كانت دهشة أفراد هذه اللجنة لبعض ما ورد فى خطابكم عميقة ومن هؤلاء السيد أكرم الحورانى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة الذى أبدى استغرابه لما جاء فى خطابكم من أننى شكوت لكم منه وهو أمر غير جائز الحدوث لا من ناحية المبادئ التى أؤمن بها وانما من الاخلاق التى لا تنفصل فى رأيى عن السياسة ولعل أكثر ما عانيناه فى تجاربنا السياسية اننا كنا لا نساوم على المبادئ ولا تنفصل الكراسة عن الصالح .

وانى لأذكر تماما ، ويذكر زملائى ، وتسجل المحاضر التى أمليتها فى اعقاب اجتماعاتنا مباشرة ، ذلك الحديث الذى دار بيننا وجرى فيه ذكر الوحدة .

ولست أنكر أنك لم تبد رضاءك الكامل عن الوحدة ولم يكن بيدى ما أفرض به عليك الاقتناع ، ولقد حدثتنى عن زعماء الاحزاب فى سوريا وقلت لك أن العناصر الوطنية فى سوريه كلها على وجه التقريب تشترك معى فى الوزارة وعددت لك هذه الأسماء ، وسألتك من غير هؤلاء الذين عددتهم لك تعيينه باشارتك وقلت لى ولعلك تذكره العظم .

وفهمت أنك تشير الى السيد خالد العظم .

ولم اسمح لنفسى أن أمضى فى مناقشة معك حول الأشخاص فانتقلت من الموضوع الى غيره .

(يتبع)

واذا كان ما ورد فى خطابكم عن اجتماعنا الأول فى موسكو قد هالنى ، فلقد هالنى أيضا وبطريقة أشد ما ورد فى هذا الخطاب عن اجتماعى الثانى بكم فى موسكو فى يوم ١٦ يوليو فى اعقاب ثورة العراق .

ولقد كان الاجتماع بكم أول ما خطر ببالى بعد أن وقعت الثورة فى العراق وهو أمر كنت أتوقعه على نحو ما دار بيننا من مناقشات فى اجتماعنا الأول فى موسكو .

لقد قامت عناصر وطنية من جيش العراق بما كنا نحسب حسابه ، ولم يكن جائزا فى نظرته أن نترك الاستعمار يسحق الثورة الوطنية فى مهدها ، ولقد كان موقفنا واضحا فى اننا سنقف بجانب هذه الثورة مهما كانت النتائج .

أما موقفكم منها ومنا فى هذه الحالة فلقد خطر ببالى انه ربما تكون الظروف ملائمة بعد التطور الجديد لكى اسمع منكم ردا واضحا على السؤال الذى وجهته لكم افتراضا فى اجتماعنا الأول فى موسكو خصوصا وقد تكفلت الحوادث بتحويله من مجرد افتراض الى أمر واقع .

وكان هذا السبب المباشر فى اننى طلبت أن اجتمع بكم فى أى مكان يناسبكم وقررتم أن يتم اجتماعنا فى موسكو ومن سوء الحظ اننى

(يتبع)

لم استطع أن أحصل منكم على جواب واضح عن السؤال ، الذى طرحته من قبل كما قلت لكم افتراضا فى شهر ابريل ، ثم طرحته الحوادث واقعا فى شهر يوليو وانكم الآن كنتم تخشون من أن تشجعنى معرفتى بمساعدتكم غير المحدودة على الاندفاع الى عمل عسكرى يزيد الموقف خطرا .

ومع أن هذا التعليل لا يقنعنى فاننى أود أن أتساءل ما هو العمل العسكرى الذى كان يمكن أن أندفع اليه ؟ لقد كنا وقتها ، وكانت ثورة العراق الوطنية فى مهدها ، نقف موقفا دفاعيا بحتا ، وكان الاسطول الأمريكى السادس يقذف بحارته على الشاطئ اللبنانى ، كما كان جنود المظلات البريطانيون يهبطون فى الأردن فهل كان العقل يتصور أنه فى امكاننا أن نقوم باجراءات هجومية .

هل كان من المتصور مثلا يا سيادة الرئيس — لو اننا علمنا انكم على استعداد للوقوف معنا — أن نبادر بالهجوم على الاسطول الأمريكى السادس بوحداته المسلحة بالاسلحة الذرية والقذائف الموجهة .

أو هل كان من المتصور مثلا أن نهاجم مناطق احتشاد جنود المظلات البريطانيين فى الاردن ، أو القواعد التى يطيرون منها فى قبرص .

لعلك يا سيادة الرئيس توافقنى أن تلك كلها تعليلات تدعو الى الاستغراب .

(يتبع)

كذلك يدعو الى الاستغراب ماجاء فى خطابك انك نهمته عن طلباتنا العسكرية فى ذلك الوقت .

ولقد طلبت منكم عددا من قاذفات القنابل وهذا صحيح وهو طلب عادى للسلاح .

وطلبت منكم أيضا بعض صواريخ المدفعية متوسط المدى ، ولقد قلت فى خطابك وهذا حق اننى طلبت صواريخ الى مدى ٥٠ أو ٧٠ ميلا ولقد اد هشنا أيضا تعليقك على هذا الطلب بأنك قلت لى أن الصواريخ المتوسطة التى يملكها الاتحاد السوفييتى هى لمدى من ٢٠٠٠ الى ٤٠٠٠ آلاف ميل ، فلقد حددت ماطلبت وحددت مداه ولعل الترجمة واللبس بين كلمة Rockets وهو ماطلبته ، وكلمة missiles وهو مالم أطلبه ، هو المسئول عن هذا الخطأ ، وان كان من الصعب الاطمئنان الى هذا التفسير فى هذه الواقعة بالذات على ضوء هذه السلسلة من الاختلافات بين الواقع كما جرى ، وبين روايتكم له كما جاءت فى خطابكم بتاريخ ١٢ أبريل .

ومهما يكن من أمر فلقد عدت بعد لقائنا من موسكو الى دمشق وكان الموقف كما لخصته للوزراء فى الجمهورية العربية المتحدة حين اجتمعت بهم .

(يتبع)

" ان علينا أن نفعل لأحسن الاحتمالات ، وأن نستعد لأسوئها "

ولقد كنا دائما نؤمن بالسلام ، ان لم يكن ايمانا منا بالمبادئ فلأننا على الأقل لا نملك سلاح الحرب ، ولكن ايماننا بالسلام ، والسلاح المحدود الذى نملكه ، لم يكن يمنعنا أن نستعد باتخاذ الوسائل الدفاعية ضد من يتربص بسلامة بلادنا .

ولقد كانت ثورة العراق بداية فى نفس الوقت للأزمة الطارئة على علاقاتنا ، وان كان الكثير مما ورد فى خطابكم قد فتح عيوننا الى أن اسباب سوء الفهم بيننا كانت تمتد - على غير علم منا وعلى غير قصد وعلى غير أساس - الى ماقبل هذه الثورة بكثير كما اوضحت لسيادتكم فى مناقشة مارويتموه عن اجتماعاتنا الأولى والثانية فى موسكو والتصادم الشديد بينهما وبين الحقيقة التى يؤيدها منطق الحوادث نفسها من غير اعتماد لا على ذاكرتكم ولا على ذاكرتى .

ولقد كنت اتصور انكم أول من يقدر موقفنا المجرد من الأنانية فى نصرة ثورة العراق ، فلقد لمستم بأنفسكم استعدادنا للتضحية ، كذلك كنتم أنتم أول من لفت انظارنا الى المخاطر التى تعرضنا لها فى هذه الفترة ، وانى لاستعيد الآن فى ذاكرتى الجهود التى بذلتموها لتأمين سلامة عودتى الى الوطن وكيف انكم طرحتم أمر هذه السلامة على مخابراتكم لترتب خطة لها تولى أمرها الجنرال سيروف وزير الأمن لديكم

(يتبع)

فى تلك الظروف ، كذلك استعيد فى ذاكرتى مشاهد حفاوتكم الحارة بى الى الحد الذى دفعكم مشكورين وقتها أن تقترحوا شرب نخبى كزعيم لجميع العرب ، وأود أن أعقب لكم هنا فى صراحة وأمانة اننى عددت النخب مجاملة كريمة لى لا اكثر ولا أقل ، فليست زعامة جميع العرب هدفا أسعى اليه ، كذلك فان هذه الزعامة لا تخلع على أى عربى من خارج الوطن العربى ولا من غير الشعوب العربية ، وانما ذكرت هذه الواقعة لأنها هى الأخرى تتصادم مع ماورد فى خطابكم من أننى حاولت بعد ثورة العراق أن افرض على شعبه قيادة معينة وأن هذا من أسباب الأزمة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين جمهورية العراق وبالتالى كان هذا بدوره أحد مسببات الظلام الذى بدأ يسود علاقاتنا .

قلت لسيادتكم أننى كنت اتصور أن تكونوا أول من يقدر موقفنا المجرد من الانانية فى نصرة ثورة العراق ، كنت أتصور ذلك لا لأنكم كنتم قريبين من الحوادث التى أحاطت بالآثار التى ترتبت نجاة على قيام الثورة فحسب ، ولكن لأننى كنت أتصور انكم أقدر من غيركم على فهم طبيعة الحوادث فى المنطقة وعلى فهم تيارات التاريخ الكبرى وعلى فهم التفاعلات النفسية والاجتماعية العميقة التى تصنع التطورات .

(يتبع)

ولقد كان أول دليل عملى يؤكد تصورنا هذا هو موقفكم الظاهر منا فى أزمات مفتعلة أثارها الاستعمار ، واتهمنا فيها تجاه دول عربية معينة بنفس مايتهمنا به الحزب الشيوعى فى العراق اليوم بالنسبة للعراق .

فى تلك التجارب السابقة ياسيادة الرئيس ، وفى مواجهة مثل الحملات التى نتعرض لها الآن ، كان موقفكم يعكس ادراكا صحيحا للدوافع التى تملى على الاستعمار حملات التشهير التى يقوم بها .

ومن ناحية أخرى ياسيادة الرئيس فقد كنت اتصور أن المرات التى اتيح لى فيها أن أحدثكم عن القومية العربية استطاعت أن تضع أمامكم صورة أجلى لحقيقة ايماننا بالقومية العربية .

ومن عجب أننا الآن نسمع من دوائر مختلفة هجوما على القومية العربية كأساس .

ومن الناحية العلمية — اذا جاز لى أن انتهز فرصة هذا الخطاب لمناقشة علمية — فما هى عناصر القومية .

فى رأيى أنها باختصار ، عقل مشترك ، وضمير مشترك .

فأما عقل الأمة فهو اللغة .

وأما ضميرها فهو التاريخ .

(يتبع)

وفى حالة القومية العربية فانكم لتجدون أن شعوب المنطقة فضلا عن اعتبارات شتى ، مادية وروحية ، تشترك فى اكبر مايمهد للقومية الواحدة ، العقل الواحد ، والضمير الواحد .

كذلك فانى واثق أنك تذكر ، ولقد قلت لك ، وكررت ماقلته فى عديد من الخطب التى ألقيتها فى مناسبات مختلفة وهى أن القومية العربية فى رأيى تضامن ، وليست اطارا دستوريا بحال من الأحوال ، ولقد يجوز أن تتحول بارادة الاجماع الى اطار دستورى الشورى ، ولكن التضامن هو الأساس الأول .

وانى لا شعر أن سجل استعدادنا للتضامن مع ثورة العراق هو مما يحق لنا أن نفخر به ، ولقد بدأ هذا التضامن منذ وقت طويل ، أنا واثق يا سيادة الرئيس أنك تعلم أن عددا من قادة ثورة العراق ، وبينهم اللواء عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية ، قد اتصلوا بنا قبل الثورة وطلبوا أن نساعدهم فى تخطيطها كما سألونا عن الضمانات التى يمكن أن نقدمها اليهم فى حالة فشلها ، ولم تكن نصيحتنا اليهم هى نصيحة من يريد التدخل فى شئون غيره أو يفرض عليهم وصاية ، وانما كانت نصيحتنا لهم أن يحفظوا أمرهم سرا حتى علينا ، وأن لا ينشدوا العون الا من شعبهم ، وأن لا يتولى

(يتبع)

وضع خطة الثورة الا الذين سوف يقع عليهم عبء تنفيذها ، كذلك قلنا لهم أن الثورة فى العراق يجب أن تظل فكرا وتصميما وعملا وحيا عراقيا خالصا .

وبعد أن نجحت ثورة العراق ، وبذلنا كل مابذلناه لتأمينها ، لم يتغير رأينا ، ولقد ظلت نصيحتنا الصادقة الأخوية لهم ، وكان السيد كامل الجادرجى آخر من سمعها منا من ساسة العراق ، هى أن لا يشغلوا أنفسهم فى الوقت الحاضر بالصور الدستورية للوحدة أو الاتحاد وانما الأجدى لهم وللأمة العربية كلها أن يتوافروا على انجاح الثورة داخل العراق وذلك بدفع أهدافها الحقة الى خدمة الجماهير على أن أقصى مانطلبه منه هو التضامن العربى فى شكل اتفاقيات اقتصادية وثقافية وعسكرية تنسق نشاط الشعبين بما يعود بالخير المشترك عليهما وعلى الأمة العربية كلها .

ومن سوء الحظ ياسيادة الرئيس أن الحزب الشيوعى فى العراق - الذى عاد أفراده من المخابىء التى هربوا اليها فى حكم نورى السعيد - أراد أنتهاز الفرصة للسيطرة على ثورة العراق ودفعها الى الوجهة التى تناسب ميوله فاستغل خلافا شخصيا نشب بين اللواء عبد الكريم قاسم ، وبين نائبه العقيد عبد السلام عارف لكى يخلق جوا من البلبلة يساعده على تحقيق أغراضه ، وهو

(يتبع)

خلاف كان رأينا ، وتصرفاتنا العملية شاهد على ذلك ودليل ، أنه ينبغي أن يترك للواء عبد الكريم قاسم قائد ثورة العراق يسويه على النحو الذى يجده اكثر ملاءمة لأهداف الثورة وسلامتها ، ولكن الحزب الشيوعى فى العراق بدأ يثير الفتنة لا بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وحسب ، وانما امتد نشاطه الى الاساءة للعلاقات بين جمهورية العراق والجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك باثارة مناقشة مفتعلة عن الفاضلة بين الوحدة والاتحاد ، مالبثت أن تطورت الى هجوم سافر ضد فكرة الوحدة الأمر الذى أظهر أن الهدف هو التأثير فى الاوضاع فى سوريا ، ولقد تجلى ذلك بوضوح خلال التعاون الوثيق بين الحزب الشيوعى العراقى والحزب الشيوعى السورى ، ثم اتخذ هذا التعاون شكل نشاط سافر سواء فى الاقليم السورى من الجمهورية العربية المتحدة أو فى جمهورية العراق .

ولقد بدأت فى الاقليم السورى تحركات مريبة تستهدف تعكير صفو الاستقرار واتخذ ذلك فى بعض الأحيان اشكالا لا يسهل تصديقها للوهلة الأولى ومن بين النماذج على ذلك هجوم الحزب الشيوعى السورى على قانون الاصلاح الزراعى ، الذى كان هدفه أن يتيح لأكبر عدد من الفلاحين فى سوريا فرصة ملكية الأرض ، كذلك كان هدفه تحطيم الاقطاع ، ومن ذلك أيضا نشاط الحزب ضد الوحدة وهو نشاط كان واضحا أنه ليس موجها ضد الاستعمار ، ولعلك

(يتبع)

توافقنى ياسيادة الرئيس أن قيام الجمهورية العربية المتحدة كان تتويجا للكفاح ضد الاستعمار ، وكان الحصن الكبير الذى تلتمس الحماية لديه ، كل حركات التحرير فى الوطن العربى .

ووصل الأمر بالحزب الشيوعى السورى الى حد أن رئيسه بدأ يدلى بتصريحات علنية نشرتها صحف تنطق بلسان الاستعمار كما تعلمون ، كذلك روجت لها اذاعات بعض الدول الاشتراكية ، وصورت هذه التصريحات هجوما عنيفا على الوحدة تصد به تقويض دعائمها وهو أمر لا يختلف أنسان من العرب فى أنه لا يتجه الى حرب الاستعمار .

وفى تلك الفترة وكان السيد نور الدين محى الدينوف يزور القاهرة سمحت لنفسى أن أحدثه فى هذا الموضوع صراحة وسألته عما اذا كان نشاط الاحزاب الشيوعية فى سوريا وفى العراق يعكس وجهة نظر الاتحاد السوفييتى ولقد كانت اجابته على صراحة هى النفى والانكار .

ولا بد أنك علمت بما دار بيننا من مناقشات ولعلك تذكر أن موضوع نشاط الأحزاب الشيوعية المحلية فى منطقتنا كان موضوع مناقشة بيننا فى اجتماعنا الأول فى موسكو فى أبريل ١٩٥٨ .

ولعلك ياسيادة الرئيس تذكر اننى أشرت فى حديثى معك الى نشاط الاحزاب الشيوعية فى الجمهورية العربية المتحدة وهو نشاط كنا نعتبر أنه يخرج

(يتبع)

عن الخط الوطنى فى بعض الاحيان بحيث لايخدم الا مصالح أعداء وطننا ، وكنت أخشى أيضا أن يفسر أى اجراء نتخذه ضد هذه الاحزاب على أنه موجه الى الاتحاد السوفييتى لذلك رأيت رعاية لمشاعركم واحتراما لها أن أثير الموضوع مبتدئا معكم فى موسكو ولقد قلت لكم وقتها :

" انى أرجو أن لا يفسر أى اجراء نتخذه ضد الأحزاب الشيوعية فى بلادنا بأنه عمل عدائى ضد الاتحاد السوفييتى "

ولقد قلت لك أن كثيرين منهم ينتمون فى الواقع الى أسر اقطاعية ورأسمالية وأنه ليس يكفى أن يضع أى واحد منهم لافتة فوق رأسه بأنه شيوعى ومن ثم يصير شيوعيا وأضفت أن لدينا فى الاقليم الحصرى مثلا ثلاثة احزاب شيوعية أو هكذا تدعى وكل منهما فى منشوراته يتهم الآخر بالعروق والانحراف ويصل تبادل التهم بينهم الى حد الخيانة ، ولا نستطيع نحن أن نحدد من هو الشيوعى الحقيقى ومن هو غير الشيوعى ، ونكاد فى خاتمة المطاف نصدق فيهم جميعا مايقولونه فى بعضهم جميعا .

وانى لأذكر أنك نظرت الى فى ذلك اليوم وهززت رأسك ، ولم أجد أن أطيل فى مناقشة هذا الموضوع معك ، واعتبرت أننى اخطرتك بحقيقة موقفى حتى لا نفاجأ يوما حين نضطر أزاء نشاطهم المعادى لصالح الشعب الى اجراءات ضدهم وحينئذ قد يتبادر الى الأذهان أى تفسير لا ينطبق على

(يتبع)

الحقيقة خصوصا وأنه فى ذلك الوقت سوف تحاول صحف الاستعمار ودوائره أن تضفى من الملابسات على تصرفنا ماقد يفسر فى ظاهره على أنه فتور فى العلاقات بيننا .

ولقد أدهشنى ياسيادة الرئيس أنك فى مناقشتك فى خطابك بتاريخ ١٢ أبريل ، لما قلته فى أحدى خطبى من أن الشيوعيين اتباع يتلقون التعليمات من الخارج ، أنك عدت الى مناقشتنا فى موسكو وذكرت ماقلته لك وقتها عن أنقسام الشيوعيين فى الاقليم المصرى الى ثلاثة أحزاب ثم عقبت على ذلك بقولك : " انهم لو كانوا يتلقون التعليمات من الخارج لكان أول ماينصحون به أن يوحدوا جبهتهم " .

ومن عجب أنه ماكاد النشاط الشيوعى فى الجمهورية العربية المتحدة يشتد ، حتى توحدت الأحزاب الثلاثة وتناست مابينها .

ولقد كان ذلك هو الذى فرض على فى يوم الاحتفال بالجلاء عن بورسعيد فى يوم ٢٣ ديسمبر أن اشير الى النشاط المعادى للوطن الذى تقوم به المنظمات الشيوعية أو التى تدعى أنها شيوعية ، وقصرت كلامى على هذه المنظمات فى حدود الجمهورية العربية المتحدة ، ولم تستغرق أشارتى أكثر من عشر سطور ولقد قصدتها أن تكون تحذيرا واضحا بأننى لست على استعداد لأن أسمح داخل الجمهورية العربية المتحدة بأى نشاط لايخدم الا أهداف الاستعمار .

(يتبع)

وفى هذا كان حديثى يتجه الى المنظمات الشيوعية داخل الجمهورية العربية المتحدة ، ولم أرض فى ذلك الوقت حتى أن أشير الى النشاط الشيوعى فى العراق ، وهو نشاط لم يكن يتجه مع الأسف الى حرب الاستعمار ، وانما كان مع الأسف أيضا يهادن الاستعمار ليتفرغ بطاقته كلها لحرب الجمهورية العربية المتحدة ، بل وفكرة القومية العربية أساسا .

ولعلكم لو طلبتم تقريرا عما كانت تنشره الصحف العراقية فى تلك الفترة لخيل اليكم أن الجمهورية العربية المتحدة ، وليس بريطانيا هى التى كانت تحتل العراق قبل الثورة وهى التى كانت تقيم صنائعها لحكم العراق ، ولخيل اليكم أيضا أن الجمهورية العربية المتحدة هى التى غللت شعب العراق بقيود حلف بغداد .

ولقد كانت الهدنة مع الاستعمار كاملة ~~ف~~ و كانت الحرب مع القوى الوطنية فى المنطقة على أشدها ، وتلك حقيقة لا مجال لانكارها ولا يكفى لدحضها أن يقال جزافا أن الشيوعيين هم طليعة الصف المناضل ضد الاستعمار ، فان الشيوعيين كغيرهم من البشر كما لعلكم تذكرون ، عرضة للخطأ بل عرضة للانحراف .

ولقد أحسست من تقرير بحث به الى سفيرنا فى موسكو عن حديث له مع السيد نورالدين محى الدينوف أن أشارتى الى النشاط الشيوعى فى الجمهورية العربية المتحدة ، فى خطاب ٢٣ ديسمبر قد حملت على غير محملها الصحيح

(يتبع)

فبعثت الى السفير كما طلبت من كل وسائل التوجيه فى الجمهورية العربية المتحدة أن تشرح وجهة نظرنا فى الأمر تلافيا لأى سوء فهم .

وهكذا كرسنا جهودا كبيرة لكى نشرح أن هجومنا لا يتجه على الشيوعية كعقيدة لأن ذلك ليس شأننا ، ونحن نفضل أن نشرح عقيدتنا الخاصة ونبلورها ، ولا نظن أننا نكسب كثيرا بمحاولة هدم العقائد الأخرى .

كذلك كرسنا جهودا كبيرة لكى نشرح أن هجومنا لا يتعدى هؤلاء الذين يدعون الشيوعية فى بلادنا والذين نرى فى نشاطهم ضررا يلحق بوحدة الشعب ، وأنه لا يخرج عن هذا الحد الى المساس بأى شيوعى غيرهم بل وعددنا فى هذا المجال أن ثمة أفرادا ممتازين من الشيوعيين تقدرهم شعوبنا حق قدرهم وكنت انتم يا سيادة الرئيس على رأس القائمة من هؤلاء الأفراد الممتازين .

ومن سوء الحظ مرة أخرى أن محاولاتنا على مايبدو لنا الآن لم تكن كافية لشرح وجهة نظرنا ، فاننا مالبثنا أن وجدناكم تتعرضون للموضوع فى خطابكم فى الحفل الافتتاحى للمؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعى .

(يتبع)

ورغبة منا فى عدم توسيع شقة الخلاف — رغم ما ورد فى خطابكم من عبارات — ورغم بعض الملابسات التى أحاطت بظروف القاء خطابكم ومنها أن جلس معكم على المنصة بعض الهاربين من الشيوعيين من بلادنا — وتعرض أحدهم بما لا يليق بشأن رئيس الجمهورية العربية المتحدة — فاننا قصدنا أن لا نتعرض لهذا الخطاب بما قد يزيد سوء الفهم استحكاما . ولقد نشر أحد الصحفيين مقالا ناقش فيه عباراتكم بألفاظ ملؤها التقدير والاحترام — والتزم فيها الجانب الموضوعى التزاما دقيقا — فاذا صحف رسمية فى بلادكم واذاعات تتهمه بأنه عميل أمريكى ، ومع ذلك فلقد شئنا أن لا نفتح بابا للخلاف لا يفيد منه الا الاستعمار .

وكان ذلك أيضا هو حافزى حين بعثت اليكم برسالة مع السيد ديمترى كيسيليف أشرح لكم فيها أن صداقة الشعوب العربية لكم لا ترجع الى نشاط الاحزاب الشيوعية ، بل هى بالرغم من هذه الاحزاب الشيوعية ، وأنه لا يتفق مع الصواب فى تقديرى أن تتحازوا داخل بلادنا الى أقلية لا تمثل شيئا من مجموع الشعب وتغامرون بتقدير الاجماع الساحق للشعب لكم .

وكان ذلك أيضا هو حافزى حينما سلمنى القائم بأعمال السفارة

(يتبع)

السوفييتية فى القاهـرة فى يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٩ خطابا منكم تـردون فيه على الملاحظـات التى حملها اليكم سفيركم فى القاهـرة ، وقـد رت باستعمـال فقـرات منه على الفـور — قبل أن تمضى أربع وعشرون سـاعة على تسليمه الى ، وذلك فى خطابى يوم ٢١ فبراير لكى أقفل نهائيـا باب الخلاف بيننا وبينكم ، وهو بـاب كنت أرى أن الاستعمـار ، وأن الاحزاب الشيوعية فى بلادنا مع الاسف الشديد تساعده فى ذلك ، يحاول جاهدا أن يفتحه على آخره .

ولقـد كان يقال ، كما تعـرفون ، أنكم كنتم تقفون معنا لمواجهة حلف بغداد ، فلما انهار حلف بغداد ، لم تعد لكم فائدة من الوقـوف معنـا .

وكان يقـال ، كما تعلمون ، انكم انما كنتم تستعملون القوميـة العربيـة لاغراض تكتيكية فى الحرب البـاردة ، فلما تحققـت لكم هـذه الاغراض تغيير تغييـر موقفـكم .

وكان يقـال ، كما تعلمون ، انكم كنتم تتقبلون فكـرة الحيـاد لما كانـت المعركـة بين الاستعمار وبين القومية العربيـة ، فلما وجهت الضـربة القاضية الى الاستعمار ، بعد الثورة فى العراق ، وبدأ

(يتبع)

بعدها النشاط الشيوعي يشتد في المنطقة ، بدأتم تخرجون من تقبل فكرة الحياد في المنطقة .

وكنا نرفض أن نصدق ذلك وغيره ، رغم ما كانت الشواهد تشير اليه مما ينشر في صحف العراق ، وما يروجه الحزب الشيوعي في الاقليم السوري ، وما تردده ، نقلا عنها ، اذاعات وصحف عديدة في بلاد الكتلة الاشتراكية .

لذلك ، ياسيادة الرئيس تلقيت من خطابكم بعض الفقرات التي ترجح حسن النية من جانبكم ، وأذعتها في خطابي بتاريخ ٢١ فبراير وكان هدفي ، كما شرحت لكم ، أن أسد الثغرة بيننا ، وأن أفوت على الاستعمار فرصة تصور أنه على وشك الظفر بها .

ولقد سافرت بعد ذلك الخطاب الى الاقليم السوري ، وألقيت أكثر من عشرين خطابا ، لم أشر فيها بغير الود الى الاتحاد السوفييتي ، بل وكذلك قللت جهد الامكان من الاشارة الى المنظمات الشيوعية ، حتى تتاح الفرصة لأعصابنا جميعا أن تستوعب ضرورة العمل على سد الثغرة ، وعلى ضرورة استعادة الثقة الكاملة فيما بيننا .

(يتبع)

وكنا نحاول ما وسعنا الجهد في ذلك الوقت أيضا أن نصفي الخلافات التي لا سبب لها ولا أصل ولا أساس ، والتي افتعلت افتعالا بيننا وبين اللواء عبد الكريم قاسم ، وضحينا في هذه المحاولة الى حد أننا اقترحنا أكثر من مرة أن نجتمع باللواء عبد الكريم قاسم في أي مكان ، حتى نصفي أسباب التوتر ، وحتى تتاح لنا الفرصة لنؤكد له أننا لا نريد أن نفرض عليه شيئا لا يريده ، ونبين له بالدليل العملي أننا لا نقصد غير التضامن العربي ، وأننا على استعداد لان نسير مع كل بلد عربي الى المدى الذي يرتضيه هذا البلد العربي ، وعلاقاتنا باليمن ، حتى مع قيام الاتحاد ، مثال حي لما نقول .

ولكن هذا الاجتماع ، مع الاسف ، لم يتم ، كما شوهت في صحف العراق ، التي تنطق بلسان الحزب الشيوعي ، مقاصدنا من ورائه ، حتى لقد ادعى ادعاء أننا نريد أن نعيد عصر تقرير مصائر الشعوب بالاجتماع بين الحكام ، وهو أمر لم يخطر لنا على بال .

كذلك حاولنا في خطب علنية ، أن يحث على الرأي العام العربي كله ، أن تناشد اللواء عبد الكريم قاسم أن يصد صوت الفتنة عن أذنيه ، حتى لا تكون الفرقة بيننا ، وإني لاحيلكم في هذا

(يتبع)

الصدد على خطب عديدة ألقيتها في مدينة المنيا وفي القاهرة وفي دمشق .

ثم كان ما وقع في الموصل ، وهو أمر تنطق كل تفاصيله بأنه كان من وحي العاطفة المندفعة أكثر مما كان واجبا لتدبير متآمر ، فلقد استفزت مجموعة من الضباط الشبان استفزازا دفعهم دفعا الى ما أقدموا عليه ، وكانت المفاجأة لنا أن الحزب الشيوعي في العراق ، حتى قبل أن تتاح الفرصة الكاملة لتحقيق ما حدث في الموصل وتقصي دوافعه ، بادر على الفور الى اتهام الجمهورية العربية المتحدة ، الامر الذي كان من شأنه أن يزيد العلاقات بيننا وبين العراق سوءا ، ولا يخدم مرة أخرى غير أهداف الاستعمار .

ومن سوء الحظ ، أن الحكومة العراقية انساقت ، ببعض أجهزتها الرسمية ، بما في ذلك اذاعة بغداد ، والمحكمة العسكرية فيها ، الى هذا التيار ، وهكذا أصبحنا أمام أزمة عنيفة بالغة الخطر .

وفي ذلك الوقت ، كان خطابكم في حفل تكريم الوفد العراقي

(يتبع)

بتاريخ ١٦ مارس ١٩٥٩ الذى أجد من واجبى أن أصارحكم بأنه لا يتناقض فقط مع الحقيقة ، وانما يتناقض أولا مع كل ما كان يصدر منكم قبل ثورة العراق .

ولقد أثار هذا الخطاب فى نفوسنا - فضلا عما حواه من التجنى - ما لم يكن يسعنا من أن نسكت عليه ، وما من شك فى أنه بدا لنا نقطة تحول خطيرة فى علاقاتنا .

ويبقى أن أصارحك أن الاحتمالات التى رسمها أمامنا هذا الخطاب بدت قاتمة وكئيبة .

ولقد كان بين هذه الاحتمالات أنكم الان غيرتم موقفكم تماما فبعد أن كنتم قبل ثورة العراق ، وبعد لم تكن الاحزاب الشيوعية عنصرا بارزا فى الميزان تتعاملون مع القوى الوطنية ، بدأتم الان تفضلون ، وقد خرجت الاحزاب الشيوعية الى النشاط الصريح ، أن تتعاملوا معها ، مهما تضاءل ما تمثله فى الكيان الشعبى .

كذلك كان بين هذه الاحتمالات ما بدا واضحا أمام شعوبنا انكم رميتم بكل ثقلكم الى جانب الاحزاب الشيوعية ، فلقد استمعت شعوبنا وشاهدت مدى ما يبذله هؤلاء من نشاط هدام ضد أوطانهم

(يتبع)

ومع أننا قابلنا ذلك بالصبر شهورا طويلة امتدت من أعقاب ثورة العراق مباشرة ، فاننا ما كدنا نفضح نشاطهم فى يوم ١٢ مارس ونسلط عليه الاضواء ، حتى خرجتم بعد أربعة أيام فقط الى نصرتهم ، ولم تقتصر محاولتكم الى مجرد نصرتهم ، وانما امتدت المحاولة الى اتهام الوطنيين بأنهم يتكلمون بلسان الاستعمار ، ثم تعرضتم للقومية العربية ذاتها ، وزدتم عليه التعرض للاوضاع الداخلية فى بلادنا .

ومعنى ذلك ، أن منطقكم كان يرتضى أن يهاجمونا ، فاذا ما رددنا بعد الصبر الطويل ، أصبحتم للدفاع عنهم .

كذلك كان بين هذه الاحتمالات ، أنكم توقنون الفكرة التقدمية حكرا على الشيوعيين وحدهم ، ناسين أن الافكار التقدمية تستطيع أن تجد لها مجالا فسيحا للازدهار فى مجتمعات لا تؤمن بالشيوعية وهو أمر يتناهى فى غرابته ، كما لعلك توافقنى ، اذا ابتعدنا عن التعصب الفكرى ، كل منا لعقيدته .

وانه لمن العجيب أن يكرس الشيوعيون فى الاقليم السورى جزءا كبيرا من نشاطهم لمقاومة الاصلاح الزراعى ، وما أظن ذلك - فى أى مقياس - يمكن أن يعتبر عملا تقدميا .

(يتبع)

كذلك لا أستطيع أن أتصور أن السكوت على الاستعمار ، وهو ما لا يزال الحزب الشيوعي العراقي متلبسا به في وضح الشمس ، عملا تقدميا .

واذا كانت هذه التصرفات كلها من الشيوعيين في بلادنا عجيبة ، فلقد كان الأعجب منها أن تتصدى بنفسك ، ولك من المكانة في نفوسنا ما تعرف ، للدفاع عنهم ، وتبرير تصرفاتهم ، الامر الذي لم يكن مفر من أن يربط بينهم وبين الاتحاد السوفييتي في أذهان الناس في بلادنا ، وما يترتب على ذلك من آثار لا يمكن أن تخدم مصلحة العلاقات بين بلادنا .

ولقد حوت خطبتك بتاريخ ١٦ مارس ، كما حوى خطابك الشخصي لي بتاريخ ١٢ أبريل ، دفاعا عن النظرية الشيوعية وشرحا وافيا لها .

ولست أريد أن أناقشك فيما قلت ، فان احترام العقائد الاخرى من سمات مجتمعنا ، وانما دعني أؤكد لك أننا نحاول - وبمنهاج قد يختلف عن منهاجكم - أن نلبي حاجيات الجماهير الأساسية .

(يتبع)

ولعلك ترى معى أن ذلك يستنفد منا عملا وجهدا وفكرا تجعلنا نعزف عن الدخول فى مناقشات لا طائل من ورائها ، وانك لتدرك ياسيادة الرئيس أن ثورة أكتوبر ، وقد مضى عليها الان أكثر من أربعين عاما لم تصل بعد الى ما تريدون تحقيقه تلبية لمطالب الجماهير .

ولقد بدأت تجربتنا هنا عن طريق المنهاج الاشتراكى الديمقراطى التعاونى منذ أقل من سبع سنوات ، ضاع منها جزء طويل كما تعلمون فى مواجهة مؤامرات الاستعمار وعدوانه ، ومع ذلك ، فان ما حققناه ، سواء للفلاحين أو للعمال ، يمكن اعتباره بداية لبناء ايجابى ، خصوصا بعد أن تمكنا فى هذه الفترة من القضاء تماما على سيطرة الاقطاع ، وعلى سيطرة رأس المال على الحكم .

واذا كنا فى هذه المرحلة نضع قيام الاحزاب صيانة لوحدة الشعب ، ونعبىء نضاله الوطنى داخل اتحاد قوى ، فان ذلك كان حريا بأن يجد لديكم من رحابة الفهم ، خصوصا وقد مررتم فى الاتحاد السوفييتى بتجربة مماثلة ، وليس يجدى ، ياسيادة الرئيس ، أن يقال ان انعدام الاحزاب فى الاتحاد السوفييتى يمكن أن يبرره أن مجتمعكم قد قضى على الطبقات ، ولعلك تذكر أنه بعد ثورة أكتوبر ، تعرضت

(يتبع)

الثورة السوفييتية لأعاصير من الداخل ومن الخارج عرضتها لأقسى الاخطار كما لا يمكن أن يقال اطلاقا أن الغاء الطبقات قد تم بين يوم وليلة .

ومما يثير التساؤل مثلا أن الحزب الشيوعي في العراق ، وكان دفاعكم عنه من أسباب أزمة العلاقات بيننا ، وهو الحزب الذي لا يفتأ يندد بالاوضاع الداخلية في بلادنا بسبب عدم سماحنا بقيام أحزاب لم يجد ما يعلق به على خطاب رسمي لرئيس الحكومة العراقية ، نبذ فيه فكرة الاحزاب ، وهاجمها ، وطالب كما تطالب بفترة انتقال تصبح فيها الامة كلها على حد ما قال " حزب الله " .

كذلك ، فلقد أشدتم غير مرة ، بإسيادة الرئيس ، بجهودنا في تنمية الانتاج ، وتنشيط الثقافة ، ارساء لقواعد مجتمع متحرر .

ولذلك ، كانت دهشتنا لما ورد في خطابك من قولك اننا نواجه مصاعب جمة نتصور أننا نستطيع مواجهتها بشن حرب صليبية ضد الشيوعية .

(يتبع)

وأؤكد لك ، ياسيادة الرئيس ، أنني لا نرى أمامنا مصاعب جمة ، وانما نرى أمامنا عملا شاقا .

والصعوبة الحقيقية أن يتخبط المرء فلا يجد طريقه ، وليست الصعوبة أن يجد الطريق ، ثم يجده طويلا .

واننا لندرك أن الطريق أمامنا شاقا ، وأننا لندرك أن سبيلنا عليه هو العمل ، وهو الحركة المستمرة الدائبة .

وليس هجومنا على الشيوعيين حلا يقصر الطريق — نحن نوافقك فى ذلك — وانما هجومنا كان لان الشيوعيين حاولوا اقامة العقبات على هذا الطريق .

ولقد أحسست ، ياسيادة الرئيس ، أن جزءا كبيرا من ضيقك بهجومنا على الشيوعيين ، كان مبعثه الحرص على الفكرة التى ينسبون أنفسهم اليها أن تضار بسبب الهجوم عليهم .

ولست أدرى فى الحقيقة كيف كان يمكن أن نكشف أعمالهم دون أن نسميهم بالصفة التى ادعوها لأنفسهم .

وأؤكد لك ، وما أظننى فى حاجة الى تأكيد ، أننى حريص على مشاعرك ، لا كصديق فقط ، وانما كمؤمن بالفكرة الشيوعية

(يتبع)

ولكن حقيقة لا أعرف كيف يمكن أن أتعرض للتصرفات التى قام بها الشيوعيون ، دون أن أسميهم شيوعيين ؟!

ولقد ساعد على تعقيد الامر ، ما صدر عنكم من تصريحات وما صدر عن صحفكم واذاعاتكم ، بل لقد وجدنا أنفسنا فجأة فى وجه حملة منظمة تمتد على جبهة عريضة واسعة ابتداء من جريدة الديلى ووركر التى تصدر فى لندن الى جريدة الراية الحمراء التى تصدر فى الصين .

ومع ذلك ، فحتى بعد هذا كله ، كنا حريصين بكل قوانا أن نحصر جبهة الخلاف ، ولعلكم تلاحظون مثلا أننا لم نتعرض على الاطلاق لكل ما وجه الينا من الصين الشعبية .

وفى الجبهة الضيقة ، التى حاولنا فيها أن نرد على ما وجه الينا ، كان موقفنا دفاعيا بحتا ، فى وجه عمل هجومى لم يقتصر على حد العدوان بالدعاية ، بل كاد يصل الى حد العدوان الفعلى . وأظنكم تعلمون أن العمل لفصم الوحدة بين مصر وسوريا ، وهدم الأساس الذى تقوم عليه الجمهورية العربية المتحدة ، هو عدوان كامل على بلادنا .

(يتبع)

وهكذا فان الموقف ، ياسيادة الرئيس ، أصبح يتلخص فيما يلى :

١ - لقد وجدنا أنفسنا مرغمين على الدفاع عن بلادنا ضد نشاط المنظمات الشيوعية داخل حدود الجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك هدف حديثى بتاريخ ٢٣ ديسمبر .

٢ - ثم وجدنا أنفسنا مرغمين على الدفاع عن أنفسنا ضد مساندتك شخصيا لهذا الحزب ، ولقد تجلى ذلك فى خطابك فى المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى ، وان كان واضحا أن دفاعنا عن أنفسنا فى هذه الحالة ، لم يتعد مقالا واحدا نشره أحد الصحفيين .

٣ - ثم وجدنا أنفسنا مرغمين - بعد استفزازات طال صبرنا عليها - على الدفاع عن أنفسنا ضد هجوم الحزب الشيوعى العراقى علينا واتهامه لنا ، ومحاولته الواضحة لتكدير العلاقات بيننا وبين شعب العراق .

٤ - ثم وجدنا أنفسنا مرغمين على الدفاع عن أنفسنا ضد مساندتك لهذا الحزب فيما يقوم به ، ولقد تجلى ذلك فى خطابك بتاريخ ١٦ مارس .

(يتبع)

٥ - ثم وجدنا أنفسنا مرغمين على الدفاع عن أنفسنا فى وجه الحرب العنيفة التى خرجت علينا بها الأحزاب الشيوعية والمنظمات الشيوعية فى العالم كله ، وهى حرب ما زالت مستمرة حتى هذه اللحظات .

وهكذا ندور الآن فى حلقة مفرغة .

فالواضح أننا لا نستطيع السكوت بأى حال على هذا الذى يوجه ضد مبادئنا ومعتقداتنا ، بل ضد سلامة وطننا .

لا نستطيع أن نسكت عليه ، حين يقوم به أفراد من بلادنا ،

ولا نستطيع أن نسكت عليه ، حين نجد هؤلاء الافراد قوة من الخارج تسندهم ، وتعين أزرهم ، وليس يجدى فى تخفيف أثر ذلك ، ياسيادة الرئيس ، أن نبدى الاسف ، لأنكم تستقم وراء هؤلاء الافراد ، كذلك ليس يجدى التساؤل - المقرون بالاسف أيضا - عن الحجج التى ساقها اليكم هؤلاء الافراد ، ودفعكم دفعا الى هذا الموقف الصعب الذى تقفونه الان فى حكم الرأى العام العربى ، بل الرأى العام فى كل أفريقيا وآسيا ، ومما من شك أنها كانت حججا لا تقوم على أساس ومعلومات لا تستند الا الى التضليل ، ومن سوء الحظ أن جزءا كبيرا من الضرر الذى وقع سوف يقتضى ازالة آثاره جهودا كبيرة .

(يتبع)

والواضح أن هجومنا ضد الشيوعية ليس هجوما على عقيدة ، وانما هو دفاعا عن أنفسنا ضد حملة عنيفة موجهة الينا .

والواضح أيضا أنه ليس أمامنا مفر من استعمال صفة هؤلاء المهاجمين في محاولة دفاعنا عن أنفسنا .

والواضح أيضا أنك تعتبر كل هجوم على الشيوعيين هجوما عليك وتجد نفسك مضطرا الى الاشتراك في المعركة ، وهو أمر أؤكد لك أننا لا نريده ولا نسعى اليه .

ولقد كنا نهاجم نوري السعيد وهو مسلم ، بل كنا نهاجم الاسرة المالكة في العراق وهي سليلة نبي الاسلام ، ولكننا كنا نهاجم انحرافات أشخاص ، ولا نقصد مهاجمة العقيدة التي يدينون بها ، بل وكان الامر في حالتنا معهم أكثر تعقيدا منه في حالتنا معك ، فان الدين الذي كانوا ينتمون اليه ، هو نفس الدين الذي نتشرف باعتناقنا له .

وكذلك ندور في الحلقة المفرغة .

وانني لأؤكد لك صادق النية مخلص العزم على أنه لا شيء أحب الى نفسي أن نخرج من هذه الحلقة المفرغة الى استقرار يصور

(يتبع)

العلاقات بين بلدينا ، وهى علاقات أكدت لكم وما زلت أؤكد أنها من دواعى فخرنا واعتزازنا .

وما أظننى فى حاجة الى أن أعدد لكم المبررات التى تحبب الى أن يعود الصفاء بيننا ، فهى أبرز وأوضح من أن تحتاج الى مزيد تكرار .

اننا نؤمن بالتعايش السلمى ، ونحن نؤمن بالصداقة بين الشعوب ، ونحن نرفض الحرب ، لانها تتنافر مع مبادئنا ، سواء فى ذلك الحرب الساخنة أو الحرب الباردة ، بل نحن لا نملك كما تملك أسلحة الحرب الساخنة ، ولا نملك الوقت الذى نضيعه فى الحرب الباردة بسبب [illegible] بالتقدم البشرى الذى أرغمنا على التخلف عنه بفعل الاستعمار .

ثم اننا نقدر تمام التقدير مواقفكم منا منذ بدأ التعاون الوثيق بيننا فى سنة ١٩٥٥ حتى بدأت الاوضاع التى يتملكنا الاسف الشديد لوقوعها فى نهاية ١٩٥٨ وبداية ١٩٥٩ .

ولكنك تدرك أن فى الامر طرفين ، ولقد استعملت ، ياسيدى الرئيس ، مثلا روسيا شائعا فى خطابك ، فاسمح لى أن أستعمل مثلا عربيا شائعا يقول ان " يدا واحدة لا تصفق " .

(يتبع)

واذا كنا نشعر أننا مخلصون صادقون نريد صداقتكم .

فاننا ، نريد أن نشعر أن يدنا الممدودة اليكم لا تتـــــرك معلقة في الهـــواء .

وانى لأتمنى أن يسود جو العلاقات بيننا هدوء يتيح لكل منا أن يبذل قصارى جهده للعمل الايجابى فى سبيل التقدم ، وفى سبيل الســـلام .

وتفضلوا ياسيادة الرئيس بقبول فائق احترامى وأمانى الصادقة بالنجاح والرفاهية لشعب الاتحاد السوفييتى العظيم .

المخلص
انور السادات
(محمد انور السادات)
١٢ مايو ١٩٧٩